



المركز الجامعي لميلة

المرجع:

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

صورة المرأة في الشعر العباسي * أبو نواس أنموذجا *

مذكرة معدة استكمالاً لمتطلبات نيل شهادة الماستر

التخصص: أدب عربي قديم

الشعبة: أدب عربي

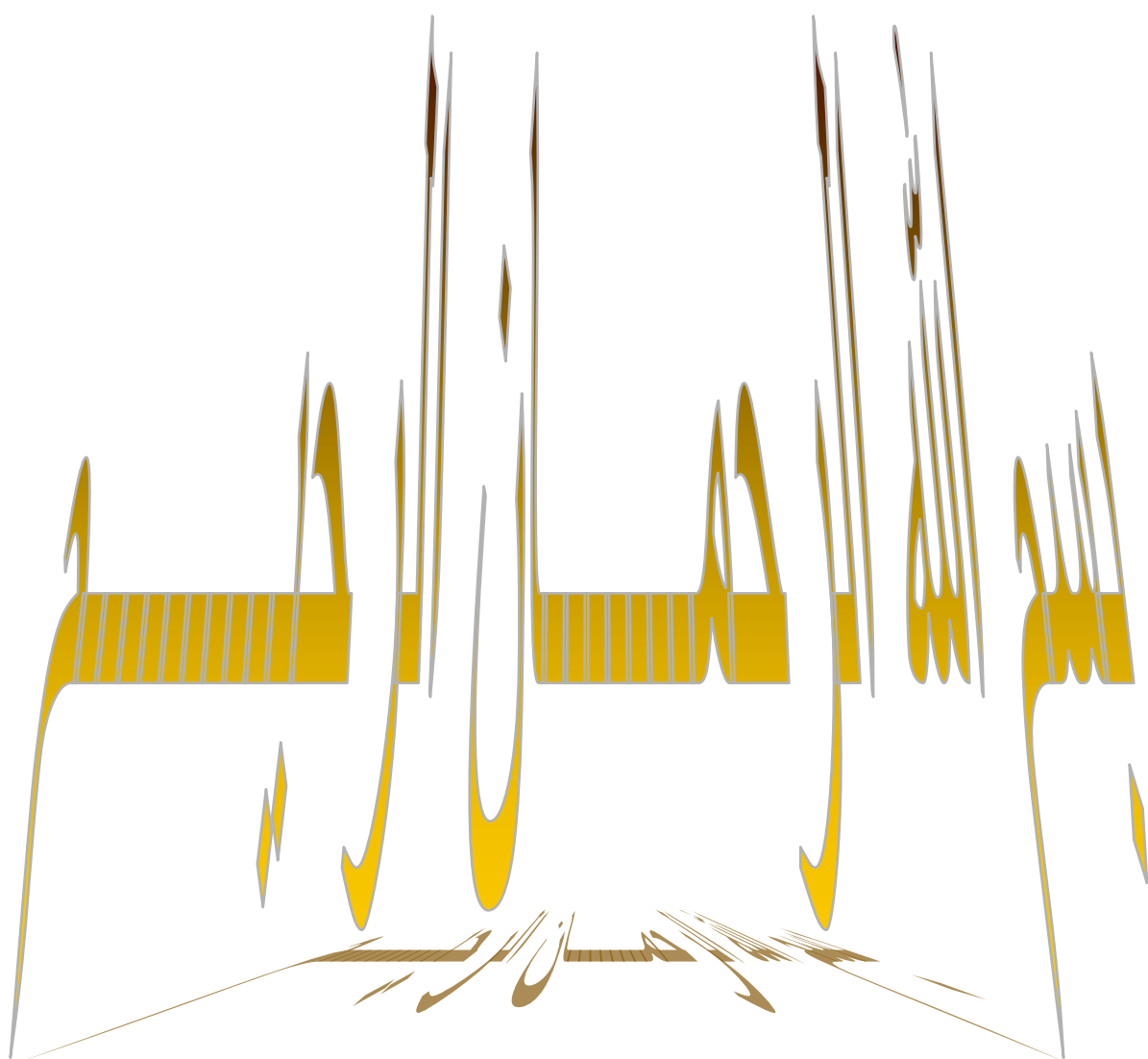
إشراف الأستاذ:

- بورايو عبد الحفيظ

إعداد الطالبة:

- سراوي سمية

السنة الجامعية: 2014/2013



دعاء:

بسم الله الرحمن الرحيم
قل رب اشرح لي صدري
و يسر لي أمري
و احلل عقدة من لساني
يفقهوا قلوي.

شكر و عرفان

الحمد لله أي هدايا إلى نور العلم و ميزنا بالعقل الذي يسر طريقنا.
الحمد لله الذي أعطانا من موجبات رحمته الإرادة و العزيمة.
الحمد الكثير و الشكر الدائم لله عز وجل الذي وفقنا على إتمام هذه
المذكرة.

هي كلمة شكر و عرفان إلى من أشرف على مذكرتي أستاذي
— عبد الحفيظ بورايو —

و أتقدم بالشكر و العرفان إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل و لو
بالكلمة الطيبة، و نسأل الله عز وجل أن يجزيهم الجزاء الأوفى على
عطائهم و حبهم.

شكرا

فلا بد

تمر الدهور، وتكر العصور، وتتعاقب الأجيال، وتظل المرأة محورا رئيسيا يدور حوله الأدب، لاسيما الأدب العربي، فمنذ فجر التاريخ ومنذ بداية التعبير بالكلمة الشفوية ثم المكتوبة نجد المرأة قاسما مشتركا بين أغلب الشعراء والكتاب، عندما يمارسون الإبداع شعرا كان أم نثرا وبمعالجات متعددة منهم من يعبر عن مشاعره نحوها فيأتي منعزلا في عفة أحيانا وفي صراحة وحسيا حيناً آخر .

وقد كانت المرأة ركنا من أركان الأدب العربي، وأساسا من أسسه، وحجرا مهما في بنائه فبمرور العصور وتعاقب الأجيال، وتغير المجتمعات تبقى المرأة هي ملهمة الشعراء، فقد نالت حظها الوافر من اهتمام الشعراء والأدباء.

والعصر العباسي عصر الحضارات الإسلامية، وامتداد الثقافة العربية في جميع بقاع العالم، ثقافة الفكر والعلم والتجديد في كل فروع المعرفة، وكل جوانب الحياة ولا تزال النهضة الأدبية في العصر العباسي محل بحث الباحثين، ودرس الدارسين ولم تكشف عقول العلماء حتى اليوم من أسرارها، ويتميز المجتمع العباسي عن غيره بأنه مجتمع انتشر فيه النشاط العلمي والأدبي، وتنوعت اهتمامات الأدباء والشعراء واختلفت موضوعات كتاباتهم باختلاف المجتمع والبيئة والظروف السائدة .

ومن الشعراء من تكلم عن المرأة ووظفها في أشعاره، فمنهم من يراها غانية فاحشة متبدلة، ومنهم من يرى فيها السمر والطهر والعفاف، ومنهم من يرى فيها العدو القاتل الذي يحمل الغدر والقسوة والهلاك، ومنهم من يراها الحبيب والصديق الذي يجلب الأنس ويهب الحياة، والمخلص الذي يضحي بحياته تقانيا فيمن يحب وإيثارا للفضيلة فهي بالنسبة لبعض الشعراء السكن والمودة والرحمة، وهي حسنة الدنيا والآخرة ومنهم من يسمو في التعبير عنها بدرجات السمو والشفافية والروحانية والملائكية ومنهم من يغرق- عندما يذكرها - في دركات الشهوانية والحسية وعبادة الجسد ومنهم أيضا من يراها جامعة بين الدرجات والدركات بين البشرية والملائكية فتسمو حيناً وتنحط حيناً آخر، ترقى في نظر مبدع وتهبط بقلم آخر وعلى لسانه، كما أن منهم من يراها عبر الأساطير، ومنهم من يراها الواقع وحسب ومنهم -أيضا- من يجعلها رمزا إلى معان متعددة وإلى دلالات متنوعة .

إن عالم المرأة هو عالم الأنوثة الفياض، بما فيه من سحر وفتنة ، وعطر وزينة ولين ونعومة، ودفع وبرودة، وحركة وثبات، ومهما حاول الكثيرون أن يخلعوها عن عالمها، فإن المرأة هي المرأة في كل زمان ومكان، وإن الجسد الأنثوي بخصائصه الطبيعية، وبما خصته به المرأة نفسها من اهتمام وعناية فائقة، يبرز هذا الجسد عنصرا أساسيا لعالم المرأة فالأنوثة والجمال هما العنصران الأساسيان لهذا العالم .

فقد جعل الشاعر للمرأة سمو الكواكب وبهائها، ونضارة النبات وألوانه، وأريج العطر وخصوصية الأرض، وأصبحت المرأة فردوسة في تلك الصحراء الواسعة وقد صنع الشاعر هذا الفردوس أو العالم الجميل وفق هواه، فجمع فيه بين الجمال والجلال، والنفع والمتعة . وقد كانت المرأة ومازالت وستظل تشكل عديدا من القضايا المحورية في مجال الأدب والنقد، فضلا عما هي عليه في الحياة الاجتماعية والثقافية، بل والحياة الإنسانية عموما.

ولما كان موضوع المرأة في الشعر العربي بحرا لا يرى العبر عائمه وقضية تتأبى على الإحاطة، فقد حاول هذا البحث المتواضع معالجة قضية أدبية - إن صح التعبير - حول صورة المرأة في العصر العباسي ، محاولة جمع هذه الصورة التي ختمت بختم الحسن

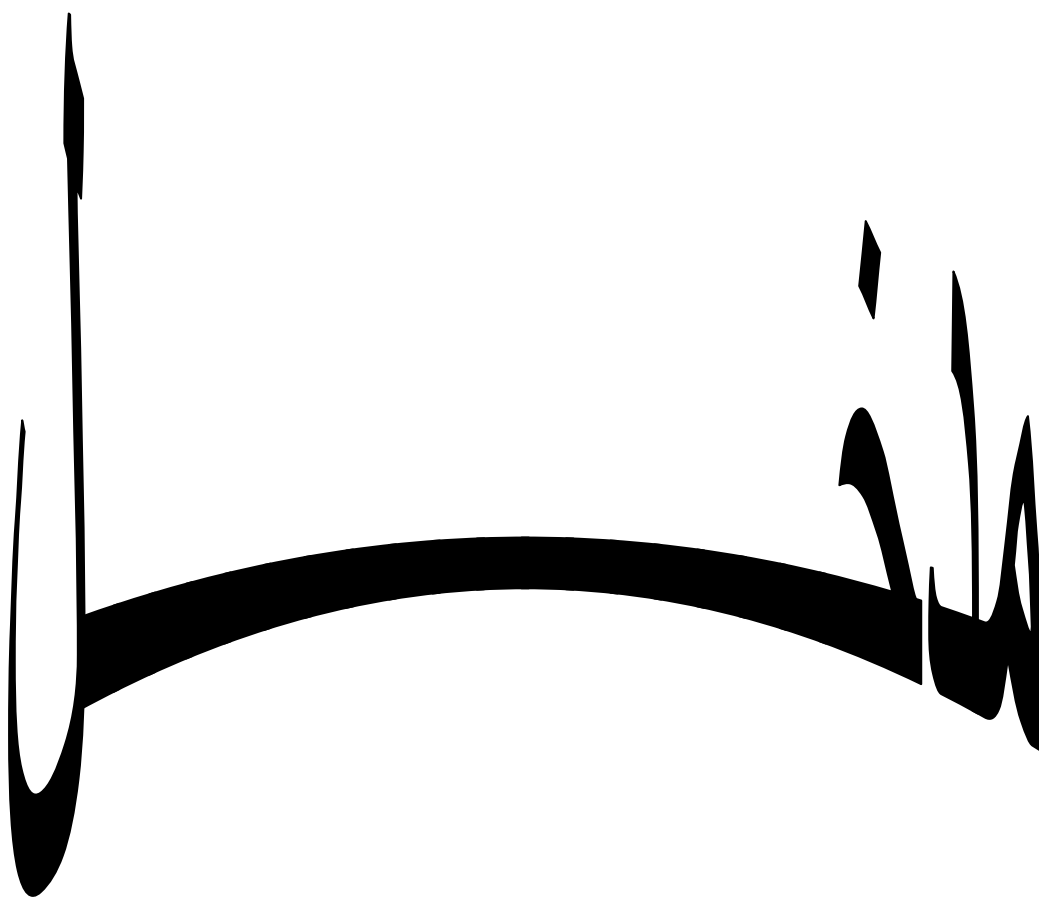
والحب والجمال في كل عصور الدولة العربية الإسلامية ، ومن أبرز النماذج التي حفل بها الشعر العربي نموذج الشاعر الذي يحضر خيال المرأة ويشتم عطرها ويرى حسناتها ويسمع صوته، يكون حاضرا عقلا وقلبا، إنه عاشق كل النساء، محب لكل امرأة، خاضع لكل جارية، أسير الحسن والجمال، عاشق ولهان، إنه رجل العصر العباسي، وشاعر المرأة العباسية ، إنه وبلا منازع – أبونواس –

فقد تباينت المفاهيم، وتعددت مستويات المعنى عندما تحدث "أبونواس" عن المرأة مما يجعل الناقد لشعره مكلفا بالإجابة عن أكثر من سؤال حول الشاعر وعلاقته بالمرأة أهوالعاشق المحب حقا، أم الشاعر الذي استخدمها أداة يتكئ عليها رمزا لدلالات أخرى ؟ أهو المحب لامرأة بعينها أم هو الطموح المتقاني الذي شغله طموحه عن عشق النساء ورفعته تعاليه عن التعلق بالغير والضعف أمام حسنهن وجمالهن ؟ فقد تحدث عن المرأة باعتبارها الأنثى التي تجذبه بأنوثتها حيث تغزل بها غزلا عفيفا، وأيضا غزلا حسيا صريحا، ومنها أيضا حديثه عن المرأة المحبوبة التي يعشقها أنثى وأنوثة، يراها إنسانا يرتبط بالخير والشر والنفع والضرر، يغرم بها في قريبا وبعدها، في وصلها وهجرها في رضاها وغضبها في إقبالها عليه، في الغدر والنكران، في خفقان القلب كل منهما للآخر وفي الميل له والميل عنه. ويدل هذا كله على امتلاك الشاعر العباسي الكبير "أبونواس" لأدوات الإبداع الشعري كالموهبة واللغة الشاعرة، وثرء المعجم اللغوي والمعرفي، وللرصيد الفكري والوجداني الذي أهله لهذا الإبداع الشعري، خاصة فيما يتصل بالجنس اللطيف – المرأة - ولقد تعددت الدراسات، واختلفت الأبحاث حول المرأة وصورتها في الأدب العربي عامة والشعر خاصة في مختلف العصور، وقد اخترت العصر العباسي بالتحديد لإظهار صورة المرأة فيه وكيف تناولها الشاعر الكبير أبونواس باعتباره شاعر المرأة في العصر العباسي محاولة إبراز الصور التي ظهرت من خلالها المرأة في شعره .

وتأتي أهمية هذه الدراسة في إبراز صورة المرأة في العصر العباسي، وفي شعر أبي نواس خصوصا، وذلك لما شيع عنه من حب النساء، وقد احتكت منهجية هذه الدراسة إلى المنهج التكاملي وقوامه: المنهج السردى الوصفي في الفصل النظري، والمنهج التحليلي المعتمد في الفصل التطبيقي واستوت مادة دراستي إلى مدخل و فصلين جعلت المدخل خاصا يضبط المصطلحات، فعنوان البحث ثري بالكلمات المفتاحية «صورة المرأة في العصر العباسي» فعرفت بالمصطلحات لغة واصطلاحا، وأشارت إلى الغزل باعتبار المرأة مرتبطة بهذا الغرض الشعري، ولمحة عن المرأة في العصر العباسي، وأفردت الفصل الأول بالتعريف عن الشاعر أبي نواس لأنه نموذج دراستي.

أما الفصل الثاني فقد كان فصلا تطبيقيا، أبرزت فيه الصور التي ظهرت بها المرأة في شعر أبي نواس، معتمدة في ذلك على ديوانه الشعري، واستعنت في دراستي على مجموعة من المصادر والمراجع منها ديوان أبي نواس، محمد عبد منعم خفاجي في كتابه «الحياة الأدبية في العصر العباسي» وعباس محمود العقاد في كتابه «أبونواس الحسن بن هاني» وكتاب «الفن ومذاهبه في الشعر العربي» لشوقي ضيف وكتاب «تاريخ الأدب العربي» وكتاب «الأغاني» للأصفهاني وكتاب شهاب الدين محمد الأبيشي «المستطرف في كل فن مستظرف» على الهاشمي «المرأة في الشعر الجاهلي» وكتاب «شاعرات عصر الإسلام الأول» نبيل خالد، وعلي إبراهيم أبوزيد في كتابه «صورة المرأة في الشعر

العباسي» مستعينة كذلك بجملة من الدواوين منها ديوان "الأعشى"، "المتنبي"، "عروة بن الورد"، "ابن الرومي"، "إمرئ القيس"، "حسان بن ثابت"، "الشنفرى" وغيرهم .
ولا أخفي أنه وفي مشراوي لإنجاز هذه الدراسة واجهتني بعض الصعوبات لكن وبفضل الله تجاوزتها، فله الشكر والحمد على إلهامي الصبر والإرادة لإنجاز هذه الدراسة المتواضعة شاكرة أستاذي المشرف "عبد الحفيظ بورايو" على ما قدمه لي من مساعدة .
وإن هذا العمل جهد بشري متواضع ، فإن أصبت – وآمل ذلك – فهذا فضل من الله أحمدته عليه، وإن أخطأت فأسأل الله ألا يحرمني أجر المجتهدين.



تجتمع في بحثي كلمات مفتاحيه، كل كلمة لها دلالة، وسأعرض تعريف هذه الكلمات على الترتيب، وإذا قلنا صورة المرأة يتبادر إلى أذهاننا الغزل باعتباره غرض من أغراض الشعر الذي يلائم التعبير عن المشاعر والعواطف وهو انسب لترجمة ما يخالج النفس من أحاسيس .

أولاً: تعريف الصورة :

1- لغة :

جاء في مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا مادة صور بقوله:
الصاد والوأو والراء، كلمات كثيرة متباينة الأصول. من ذلك الصورة صورة كل مخلوق والجمع صور، وهي هيئة خلقته. والله تعالى البارئ المصور، ويقال رجل صبر، وإذا كان جميل الصورة. ومن ذلك الصور: جماعة النخل، وهو الحائش. ولا واحد للصور من اللفظة . ومن ذلك صوار وهو قطيع من البقر، وجمع صيران¹.

وجاء في المعجم الوجيز: صورته: جعل له صورة محمسة، وصورة الشيء أو الشخص: رسمه على الورق أو الحائط أو نحوهما بالقلم أو المرحون أو بآلة التصوير وصور الأمر وصفه وصفا يكشف عن جزئياته، تصوره: تكون له صورة وشكل وصورة الشيء: تخيله واستحضر صورته في ذهنه. التصور في علم النفس: استحضار صورة الشيء محسوس في العقل دون التصرف فيه. التصوير: رسم صورة الأشياء أو الأشخاص على لوح أو حائط أو نحوهما².

كما جاء في لسان العرب: والجمع صور وصور وصور، وقد صورته فتصور الجوهرى: والصور بكسر الصاد لغة وهي الصور جمع، وصورة، وينشد هذا البيت على هذه اللغة يصف الجوارى:

أشبهن من البقر الخلاء أعينها ... وهن أحسن من صيرانها صوراً³
وأيضاً: صور من أسماء الله تعالى: المصور وهو الذي صور جميع الموجودات ورتبها وأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة ... الصورة هي الشكل ... خلق الله تعالى آدم على صورته ... الصورة التي أنشأها الله وقدرها، وصوره الله صورة حسنة فتصور ... الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته ... صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته ... والصورة النخلة والصورة الحكة ... وقالت امرأة من العرب لابنة لهم: هي تشفيني من الصورة وتستترني من الغورة ...⁴
وجاء في المنجد: صورة: جمع صور، هيئة، شكل، صورة بشرية ... صنع الله الإنسان على صورته ... كتاب مزين بالصور ...⁵.

فقد تعددت تعريفات الصورة عند اللغويين والنقاد وحتى البلاغيين من عصر إلى آخر، إلى أن كلمة الصورة استخدمت في كثير من الأماكن في كلام العرب لتدل على حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته.

كما جاء في المصباح المنير أن الصورة: التماثيل، وتصورت الشيء: مثلث صورته وشكله في ذهن⁶، فالصورة هي تمثال عن الشيء، أو الصورة هي ذاك الشكل الذي يتبادل إلى الذهن، أو يكون راسخاً فيه عن شيء ما.

¹ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، مكتبة المشكاة الإسلامية، ج3، دت، ص 395.

² مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، نشر مجمع اللغة العربية، ط1، 1920 م، ج1، ص 373

³ ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله وعلي الكبير وآخرون، دار المعارف، ج1، ص2523

⁴ ابن منظور، لسان العرب، ضبط نصه وعلق حواشيه خالد رشيد القاضي، ط1، دار صبح، بيروت، لبنان، 2006م، ج7، ص

ص 403، 404، 405.

⁵ صبحي حموي، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط2، دار المشرق، بيروت، 2001م، ص861.

⁶ المصباح المنير، دار المعارف، القاهرة، ج1، ص350.

2 - اصطلاحا :

تحدث النقاد عن الصورة من خلال مقاربتها للفظ والمعنى. فقد رأى قدامى بن جعفر أن المعاني مادة الشعر والصورة الشكل، كالخشب لنجار والفضة للصياغة¹، فالصورة هنا تقابل الشكل الشعري بكل مقوماته من التراكيب، ألفاظ وموسيقى، وإطار عام يحتوي على المعاني. كما تحدث عبد القادر الجرجاني هو الآخر عن تحديد الصورة، فيربطها بتجسيد المعقول إلى المحسوس، فهي تمثيل لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا، فلما رأينا البيئونة بين أحد الأجناس تكون من جهة الصورة، فكان بين إنسان من إنسان، وفرس من فرس بخصوصية تكون في الصورة هذا، ولا تكون في صورة ذاك ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيئتين وبينه في الآخر بيئونة في عقولنا وفرقا عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البيئونة بأن قولنا للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك². فالصورة عند الجرجاني توازي فيما ينشأ عنها ما يقابل اللفظ والمعنى فيحدد الجرجاني الصورة على أساس أنها قياس بواسطة العقل لما نراه بأبصارنا وتقع عليه أنظارنا، فنحن اللذين نرى بأعيننا الكثير من الأشياء من نفس النوع أو على اختلاف أنواعها، لنذكرها بعد ذلك وبواسطة العقل فنميز بين هذا وذاك لأن صورة الشيء بعينه، تختلف في أذهاننا عن صورة شيء آخر، ونحن اللذين نميز أيضا بين المعاني فنجعل منها معاني مستحسنة أو مستقبحة فنحن أن ذاك أعطينا صورة لكلا الشئيين وميزنا بينهما بالحسن أو بالقبح.

أما "إحسان عباس" فقد ربط الصورة بالشعر فيرى، أن الصورة ليست شيئا جديدا، فإن الشعر قائم على الصورة منذ أن وجد حق اليوم، ولكن استخدام الصورة يختلف من شاعر إلى آخر، كما أن الشعر الحديث يختلف في طريقة استخدام الصورة عن الشعر القديم³.

فالصورة الموجودة منذ القديم في الشعر تعتبر صور خالدة ورائعة، فقد قدم شعراء اليونان صورا رائعة عبروا من خلالها ما كان يجري في أيامهم من حروب وصراعات وجسدوا من خلالها بطولاتهم وإنجازاتهم، ولا يخفى ذلك التجسيد الذي أبدع فيه الشاعر اليوناني "هوميروس"، فقد رسم ونقل لنا أجمل وأروع الصور عن حروب اليونان وعن مغامراتهم سواء الحقيقية منها أو الأسطورية، ممثلة في أعماله العملاقة: الإلياذة والأوديسة والكوميديا الإلهية.

أما عند البلاغيين فمدلول الصورة يزداد ضيقا، حيث قصرُوا استخدامه فقط على ما يعرف بالصورة البلاغية كما نرى عند "السكاكي" و"القزويني" وغيرهما.

ومع تطور حركة النقد الأدبي العالمي في العصر الحديث، وارتباط هذه الحركة بسائر الآداب أخذت الصورة أبعاد جديدة، فهي تعني مرآة العصر وقيمة السائدة في فترة زمنية معينة عند الكلاسيكيين، وهي مناط الإمتاع الفني واللذة العاطفية عند الرومانتيكيين، وهي وسيلة لتجسيد آثام البشر وشروهم عند الواقعيين النقديين، وهي الرؤية الذاتية من خلال لحظة شعورية معينة عند السرياليين، وهكذا تعددت مدلولاتها باختلاف المنظر الذي تبذرون خلاله⁴.

وقد عرفت التجربة الشعرية بأنها الصورة الكاملة الشاملة لموضوع الشعر وموقف الشاعر منه⁵. فالصورة هي تلك النتيجة التي يخرج بها الشاعر من شعره اتجاه موضوع ما، كما تجسد الصورة موقف الشاعر ووجهة نظره، كما تحدد الهدف منه.

1 قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق كامل مصطفى، ط3، مطبعة الخانجي، القاهرة ص 19.

2 عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت، ص 45.

3 إحسان عباس، فن الشعر، دار بيروت، لبنان، 1955م، ص 230.

4 أحمد سيد، المذاهب الأدبية في الأدب العربي، ط1، دار شمس المعرفة، القاهرة، 1991، ص ص 23، 24.

5 محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، هلال نهضة، القاهرة، مصر، ص 363.

ومن خلال ما سبق فإن الصورة بتعدد مفاهيمها تحمل لنا على العموم مؤثرات بيئية واجتماعية، ومظاهر الحياة ومقومات الشخصيات المختلفة من مجتمع لآخر.

ثانيا : تعريف المرأة :

1- لغة :

تعددت مفاهيم وتعريف مصطلح المرأة، فقد جاء في لسان العرب أن: مرأ: المروءة كمال الرجولة، والمروءة الإنسانية، والمرء: الإنسان، تقول: هذا مرء..... وقد أنثوا فقالوا : مرأة فبقي مرأة، وألحقوا ألف الوصل في المؤنث أيضا، فقالوا امرأة، فإذا عرفوها قالوا المرأة وقد حكى أبو علي: المرأة اليث: مرأة تأنيث امرئ، وقال ابن الأنباري الألف في امرأة وامرئ ألف وصل، وقال للعرب في المرأة ثلاث لغات، يقال: هي امرأته وهي مرأته وهي مرتة، وحكى ابن الأعرابي: أنه يقال للمرأة أنها لا امرؤ صدق كالرجل. وفي حديث على كرم الله وجهه، لما تزوج فاطمة رضوان الله عليها: قال له يهو دي أراد أن يبتاع منه ثيابا، لقد تزوجت امرأة، يريد امرأة كاملة¹.

والمروءة عند العرب هي: العفة، النخوة، والحلم، والمعروف، والصدق ... وقيل: أول المروءة طلاقة الوجه، والثاني التودد، والثالث قضاء الحوائج للمحتاجين، وقال "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه : تعلموا العربية أنها تزيد في المروءة. فكأنما جمع العرب كل ما في الإنسانية من خصال حميدة، وخلال طيبة، وضموا بعضها إلى بعض، وجعلوها جميعا ضمن كلمة مروءة ... ثم اشتقوا منهم اسم المرأة وهم يريدون أن تتوافر فيهم تلك الخلال والخصال جميعا ... فأية مكانة أسمى وأكثر ارتقاء من هذه المكانة جعلت فيها المرأة عند العرب².

2- اصطلاحا:

إن عالم المرأة هو عالم الأنوثة الفياض، بما فيها من سحر وفتنة، وعطر وزينة ولين ونعومة، ودفء وبرودة، وحركة وثبات، ومهما تحدثنا عن المرأة، ومهما حول الكثيرون أن يخلعوها عن عالمها، فإن المرأة هي المرأة في كل زمان ومكان وإن الجسد الأنثوي بخصائصه الطبيعية، وبما خصته به المرأة نفسها من اهتمام وعناية فائقة، يبرز هذا الجسد عنصرا أساسيا لعالم المرأة، فالأنوثة والجمال هما عنصران الأساسيان لهذا العالم³.

ويعرف "الطاهر حداد" المرأة أنها: أم الإنسان تحمله في بطنها، وبين أحضانها وهو لا يعي غير طابعها الذي يبرز في حياته من بعد، وترضعه لبنها، تغذيه من دمها وقلبها، وهي الزوج الأليف تشبع جوع نفسه، وتذهب وحشة انفراده، وتبدل من صحتها وراحة قلبها لتحقيق حاجاته، وتزيل العقبات أمامه، وتغمره بعواطفها فتخفف عليه وقع المصائب والأحزان وتجدد في نشاط الحياة، وهي نصف الإنسان وشطر الأمة نوعا وعددا وقوة في الإنتاج من هو ان وسقوط، فإذا كنا نحترق المرأة ولا نعبأ بما هي فيه من هو ان وسقوط فإنما ذلك صورة من إحتقارنا لأنفسنا ورضاؤنا بما نحن فيه من هو ان وسقوط، وإذا كنا نحبتها ونحترمها ونسعى لتكميل ذاتها، فليس ذلك إلا صورة من حبنا واحترامنا لأنفسنا وسعيها في تكميل ذاتنا⁴.

¹ ابن منظور، لسان العرب، ضبط نصه وعلق حواشيه خالد رشيد القاضي، ط1، دار صبح، بيروت، لبنان، 1427، 2006، ج 13، ص ص 58، 59.

² عرفان محمود حمور، المرأة والجمال والحب في لغة العرب، ط1، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان 1998، ص ص 13، 14.

³ حسين عبد الجليل يوسف، عالم المرأة في الشعر الجاهلي، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية مصر، 2007، ص 5.

⁴ الطاهر حداد، امرأتنا في الشريعة والمجتمع، موفم للنشر، الرغاية، الجزائر، 1992 م، ص 2.

فالمرأة تنتج الإنسان والأخيار، فهي الخلية والنواة منها وإليها يعود فضل هذا الإنتاج الذي يجسد أو لا وأخرا قدرة الله تعالى ذو عظمته وجبروته، فهو مخرج النفس من النفس وزارع ما في الأرحام وعارف بها فالمرأة تغذي هذه النفس وهذا الإنسان من دمها ولبنها وتغمره بحنان قلبها، وترشده بحكمة عقلها وتحافظ على نموه وتسهر على نموه وبناء مستقبله.

فالمرأة كالأرض تحتاج إلى الرعاية والعناية كي تنتج وتحافظ على ديمومة الحياة وإذا كانت الأرض تحرث وتسقى بالماء وتنتج الثمار، فإن المرأة تحرث وتسقى من ماء الرجل وذلك في قوله تعالى "نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم"¹.

فهي زوجة الرجل تعاشره وتشبع غرائزه وتشاركه نصف دينه وحياته، تعينه في السراء والضراء، وتذهب عنه الوحش والههم وتشاركه مشاكل الحياة والمرأة -بالنسبة إليه- هي الحبيبة، والزوجة والأم والأخت والبنت والصديقة، هي دنياه والحب الذي يسعى لكي يعيش به ويحيا من أجله، فعليه أن يحي من أجلها، فعليه إسعادها وإرضائها وفي المقابل تبادلها هي أيضا الحب وتؤنسها بلطفها ورقة قلبها ومشاعرها.

فالرجل يسكن إليها، والمرأة تسكن إليه، فقد جعل الله تعالى وذلك من حكمة خلقه رحمة ومودة بين هذين الجنسين المختلفين في كل شيء، لكن الله وبحكمته وقدرته جعلهما إنسانا واحدا باجتماع روحهما وقلبيهما وأجسامهما، وذلك في قوله عز وجل: "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"².

وكثيرة هي صور هذه المحبة والمودة والرحمة والمعاشرة بين الرجل والمرأة في القرآن الكريم وفي الدين الإسلامي، فقد شرع الله كيفية هذه المعاملة ووضحها في آياته الكريمة...

ويرى "مصطفى السباعي" أن المرأة تشكل نصف المجتمع من حيث العدد، وأجمل ما في المجتمع من حيث العواطف، وأعقد ما في المجتمع من مشكلات، ومن ثمة كان من واجب المفكرين أن يفكروا في قضيتها دائما على أنها قضية المجتمع، أكثر مما يفكر أكثر الرجال فيها على أنها قضية المجتمع، أكثر مما يفكر أكثر الرجال فيها على أنها قضية جنس متم أو مبهج³.

فهو يربط المرأة بالمجتمع من حيث عدد الأفراد، فهي تشكل نصفه، فإذا كان للمجتمع عواطف فهي منبعها، أما إذا كان له مشاكل فالمرأة أعقد مشكلة، وهي قضية من قضاياها لا بد من التفكير فيها- على اعتبارها- عضوا فعالا، مؤثرا ومتأثرا بمجريات المجتمع ينظر إليها على أنها قوة وسلطة، حب وكره، احترام وتقدير، شكر وعرفان، عطف وحنان، يجب الأخذ بيدها في كل حالة من حالاتها دون أن ننكر أنها مكمل للرجل جنسا ومتعة، لأن هذا الأمر لا نستطيع نكرانه أو تجاوزه، كما لا يمكن أن نقصره ونحصره.

ثالثا : تعريف الغزل :

يمثل شعر المرأة في الأدب العربي حيزا عظيما، خلف في الإرث الشعري ثروة أدبية عظيمة فاقت كل ما خلفته فنون الشعر في غير المرأة، وهذا الإرث الشعري الذي يمثل المرأة منه ما هو قاصر على المرأة أو متصل بها لسبب ما، كما يقاسم أغراض الشعر الأخرى وفنونه من فخر ومدح وهجاء ورثاء، وهذه الأغراض لم تكن مقصودة أو متعمدة بل أحيانا ما كان يبعثها الحب والهوى، ويثيرها الشوق والرغبة⁴.

¹ سورة البقرة الآية 223.

² سورة الروم الآية 21.

³ مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، ط2، دار السلام، 2003 م، ص 9

⁴ علي إبراهيم أبو زيد، صورة المرأة في الشعر العباسي، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1983، ص5.

ويعد الغزل أصدق فنون الشعر إذ يتسم بصدق الأداء وصدق التعبير عن الوجدان وتصوير المشاعر والأحاسيس، حيث لم يكن الدافع وراءه ما دفع أصحاب المدح والوصف والهجاء والفخر – فهذه الأغراض غالباً ما يبعثها التملق – فتحرم الصدق في المشاعر والحرارة في العاطفة، والإخلاص في الوجدان، وتأتي متكلفة المعاني باهتة الصور مصطنعة الأداء، يصدر تصوير المرأة في الشعر عن مطمع مادي أو رغبة في المال أو عطاء العذرية منه الذي يهدف صاحبه من نظمه إلى رغبة في متعة أو لقاء غير مشروع بل يصدر عن تعبير صادق وعاطفة صادقة ووجدان مخلص يبدو في التعبير والأداء¹.

والغزل هو فن، وميزة هذا الفن من شأنه أن يوقظ في قارئه قبساً من الإحساس بالجمال جمال الحياة، وجمال المرأة، وقلماً خلا أدب من الغزل، لأنه أنشودة كل قلب شوقاً إلى المرغوب فيه جسداً وروحاً.

1- لغة:

جاء في لسان العرب لأبن المنظور الغزل: اللهو مع النساء، والغزل حديث الفتیان والفتيات، ومغازلتهم: ومحادثتهم ومراودتهم، وقد غازلها والتغزل: التكلف لذلك تقول غازلتها وغازلتني، وقد غزل غزلاً وقد تغزل بها وغازلها، وغازلتها مغازلة².

2- اصطلاحاً:

انطلاقاً من المعنى اللغوي الذي تقدم ليكون تعريف الغزل بأنه، إلف النساء والتخلق بما يوافقهن³، فالمرأة هي المحور الأساسي الذي يشكله، ومنطلق الإبداع عند الشاعر في عالم الشعر والحب والهوى، ومصدراً ملهماً له، فما من شاعر إلا وقال فيها شعراً، وما من ديوان إلا ونجد فيه صدى المرأة.

وهو أيضاً وصف محاسنهن الخلقية ومفاتنهن الجمالية، واجترار ما مضى من ذكريات قامت بين الشاعر والمرأة من وصل وهجران، وعطاء وحرمان، والتعبير عن كل ما يجول في نفس العاشق من تباريح الهوى والحب⁴.

فالغزل هو التصريح عن مودة المرأة وحبها وتتبعها والحديث عنها والتودد إليها ورد كثيراً في مطالع القصائد الجاهلية، يستحضر الشاعر فيها لذكرياته مع المرأة، يعبر عن الأحاسيس التي تختلج صدره في مضمار الحب، سواء عن وصل معها أو عن فراق وحرمان منها، وحينها يشكو الشاعر أثر العشق في قلبه وما تركه ذلك الحرمان من ألم في الصدر ودمع العين.

والغزل ينبع من النفس بعد أن يتفجر الحب في أعماقها، وبما أن الحب إحساس مشترك بين جميع الناس، فإنهم يجدون لذة في سماع أشعار الحب، فيتخيل كل واحد أن هذا الشعر يمثل قصته، ويحكي آلامه وآماله⁵.

3- أنواع الغزل :

إذا طالعنا دواوين الشعراء التي تضمنت غرض الغزل نجد أن القصيدة الغزلية في مختلف العصور تدور حول محورين رئيسيين هما المرأة والرجل، متخذة في نفس موضوعها الأول المرأة، اتجاهاً أحدهما الاتجاه الحسي الماجن، والآخر الاتجاه العفيف الطاهر.

¹ المرجع نفسه، ص ن.

² ابن منظور، لسان العرب، ضبطه خالد رشيد القاضي، ط1، دار صبح، بيروت، لبنان، 2006، ج 10، ص 60.

³ ابن رشيق القيرواني أبو علي الحسن الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين، دار الجبل، لبنان، ص 117.

⁴ محمد رزق حامد، الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي، ط1، دار العلم والإيمان، مصر، 2010، ص 128.

⁵ سراج الدين محمد، موسوعة المبدعون، الغزل في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية بيروت، لبنان، ص 6.

أ- الغزل الحسي أو الماجن:

يعتبر هذا النوع من الغزل أكثر انتشارا وشيوعا من النوع الآخر، وهو الذي يميل فيه الشاعر إلى التعلق بمفاتيح المحبوب الجسدية أو التعبير عن العواطف تعبيرا ينطوي على رغبة صريحة¹. أي أن الشاعر يهتم بالمظاهر الخارجية للمرأة وكل مفاتيحها فيصنفها ويصورها تصويرا صريحا عاريا متحررا من القيود لأن هذا الشاعر هام بهذه المرأة جسدا وجثة لا روحا وقلبا.

ب- الغزل العذري أو العفيف :

يمثل هذا الغزل النوع الثاني من أنواع الغزل في الشعر العربي، وهو الذي تكون فيه مشاعر الشاعر صادقة، وإحساساته سليمة إزاء الحبيب، في علاقة حب طاهرة لا يشعر بها إلا أصحاب الأرواح العفيفة، فهي خلوة الروح في مناجاة رومانسية طويلة²، وهذا يعني أن المرأة تكون بالنسبة للشاعر روحا لا جسدا، ومن ثمة تنعدم الرغبات المادية والغرائز الجنسية.

رابعاً: الغزل في العصر العباسي:

العصر العباسي عصر الحضارة الإسلامية، وامتداد الثقافة العربية في جميع بقاع العالم، ثقافة الفكر والعلم والتجديد في كل الفروع المعرفة، وكل جوانب الحياة. وفي هذا العصر ظهرت أئمة الفكر الإسلامي العربي، وأعلام الأدب شعره ونثره وكان فيه الأدب العربي أدب الثقافة الرفيعة والذوق العالي.

وكان العصر العباسي حافلا بشتى التيارات الفكرية والعلمية والأدبية، وهو عصر النهضة والازدهار في الآداب العربية، ولا تزال النهضة الأدبية في العصر العباسي محل بحث الباحثين، ودرس الدارسين، ولم تكشف عقول العلماء حق اليوم من أسرارها وأسبابها³. كما شهد العصر العباسي ازدهارا واسعا في شتى مجالات العلوم ومنها الشعر بكل أغراضه، ولعل ذلك راجع إلى اتساع رقعة الدولة العباسية حيث كانت تضم بلاد السند وخرسان وما وراء النهر وإيران والعراق والجزيرة العربية والشام ومصر، وهو عصر انفرد عن غيره من العصور في عملية صهر للثقافة المكتسبة من الأمم غير الإسلامية في كأس الثقافة العربية ليشر بها العربي صافية المذاق⁴.

فالعنصر العربي تأثر بعناصر أخرى غير عربية كالعنصر الفارسي والتركي والرومي فهذه المداخل العنيفة نقلت الحكم الإسلامي من طور إلى طور، وأثرت في الحياة العربية تأثيرا كسوريا خالصا، وأورث العرب من ضروري المدنيات وما هضموه وتمثلوه، فأضافوا إليه كثير من ألوان ومظاهر التجديد.

كما استطاع العرب أن يعبروا من خلال شعرهم الغزلي على ذواتهم وعلى طبيعة العلاقات الاجتماعية التي كانت تربطهم بالمرأة والظروف المحيطة بهم وبها، حيث أن المرأة في الشعر العذري في العصر الأموي كما يقول عنها "الببيب الطاهر": إن المرأة في العالم العذري، التي رقت إلى منزلة مثالية، وبولغ في تقديرها بصورة شبه ميتافيزيقية، تجد نفسها وقد منحت، صرامة

¹ محمد صبحي أبوحسن، صورة المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين ط2، عالم الكتب الحديث الأردن، 2005، ص112.

² محمد حملاوي، الشعر القبائلي التقليدي ودراسة وصفية تحليلية، 2009، ص 389.

³ عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر العباسي، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر 2004 م ص7، 11، 12.

⁴ علي نجيب عطوي، بشار بن برد، حياته وشعره، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1990، ص03.

مطلقة، غير أن من البديهي أن هدف الحب هو الوصول إلى الطرف المقابل... فالحبيب يعتبر متطلبات الحبيبة ومتطلباته هو تجاه نفسه...¹

وقد كثرت قصص الحب الطاهر في هذا العهد من شعراته: "مجنون ليلي"، "جميل بثينة" "قيس بن ذريح صاحب لبنى"، وكثير عزة... ولا ريب أن الدين كان قويا في نفوس هؤلاء الأمر الذي أبعدهم عن العبث والمجون وتساموا بعلاقة الحب الطاهرة واستطاع الشاعر أن يصف حبيبته بعيدا عن الموصفات المادية المحسوسة.

ومن ثمة يمكن القول أن الشعر بعامة، والغزل بخاصة تأثر بهذا المجتمع الثقافي والحضاري، وما وجد في تلك البيئة من المظاهر المجون والعبث، فقد أدى انتشار الجواري والمغنيات وانتشار مجالس اللهو ووسائله إلى انحراف الغزل إلى الناحية الحسية المباشرة².

وهذا يعني أن تلك الموجة الحادة التي نشرتها الجواري في قصور الخلفاء والمجتمع من تفنن في ضروب الخلاعة والتهتك، والعناية بجمال وجوههن وعذابة حديثهن وطرافتهن وحلاوة إشارتهن وإجادة أنواع الغناء والرقص، فكان كل هذا يدغدغ الشهوة لدى الشباب المقبل على اللذات والمحرمات، وهو ما كان له دور كبير في اتخاذ شعر الغزل منحا جديدا يعبر عن تلك الحالة وهو شيوع الغزل الفاحش الإباحي.

كما شهد العصر العباسي تطورا في غرض الغزل، سواء من حيث انتشاره، أو من حيث تناوله لجوانب جديدة، لا عهد له بها، مثل التغزل بالغلاميات وبصيغة المذكر وهذه ظاهرة جديدة في الغزل العربي، كانت وليدة ظروف اجتماعية واقتصادية ونفسية لم يشهد تاريخ الشعر العربي مثلها من قبل، وهذا النوع من التغزل هو أقصى درجات التهتك والانحلال الخلقي، والشذوذ الجنسي³.

وظهر هذا الاتجاه في الغزل " وشكل نسبة كبيرة من شعر هذه الفترة، وساعد على شيوع هذا الغزل، فرص الالتقاء بالغلماں والغلاميات، أي الجواري المتشابهات بالغلماں في الحانات، ودور القيان، وبيوت النحاسين ودور البغاء، وكان لهذا الدور وسواها دور كبير في إشاعة هذا الغزل المتهتك الماجن⁴.

ومن الشعراء الذين يرتادون هذه الديارات، وذكروها في أشعارهم الغزلية: "خالد يزيد الكاتب"، و"الناشئ الأكبر أبو العباس"، و"محمد بن أبي أمية"، و"أبو العيناء" "مصعب بن الحسين"، و"أبو علي البصير"، و"الثرواني"، و"بكر بن خارجة"، و"يوسف بن الحجاج" وأشهرهم على الإطلاق شاعرنا "أبونواس"⁵.

وقد صور هؤلاء الشعراء في قصائدهم الغزلية الأديرة وما تشمله من مظاهر اللهو والقصف والمتع، وتغزلوا بالراهبات الجميلات والفتيات والفتيان، وهم يختالون في هذه الأديرة ويقدمون الخمرة لروادها⁶.

ومن غزل "أبي نواس" في الغلمان قوله:

يا لا عبا بحياتي وهاجرا ما يؤاتي

¹ لبيب الطاهر، سوسيولوجيا الغزل العربي، الشعر العذري أنموذجا، ترجمة: حافظ الجمالي، منشورات الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، ص 99.

² عادل جابر صالح محمد، تاريخ الأدب العربي القديم، ط1، دار الصفاء، الأردن، 2009، ص 79.

³ نور الدين السد، الشعرية العربية، دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنز، الجزائر، ج2، ص 249.

⁴ نور الدين السد، الشعرية العربية، المرجع السابق، ص 249.

⁵ المرجع نفسه، ص 250.

⁶ المرجع نفسه، ص 250.

ومشمتا بي عداتي	xxx	وزاهدا في وصالي
على السنان قنّاة	xxx	وحامل القلب مني
حبس الهوى من لهاتي	xxx	ومسكن الروح ظلما
بعين ظببي اللواتي	xxx	فالوجه بدر تمام
مصائف ومشاتي	xxx	ترود بين الأطباء
والغنّ غنّج فتاة ¹	xxx	فالجيد جيد غزال

فقد استعمل "أبونواس" بعض التشبيهات والصفات التي تستعمل عادة في الغزل المؤنث فقد تغزل ووصف جمال هذا الغلام وتتأسق أعضاء جسمه، وهذه الصورة وغيرها كشفت خروج "النواسي" وغيره من الشعراء في العصر العباسي عن الضوابط الدينية والأخلاقية. وقول "ابن الرومي" عن الفتیان:

عاطفات على بنيتها حواني.	xxx	وقيان كأنها أمهات
مرضعات ولسن ذات لبان	xxx	مطفلات وما حملن جنينا
ناهدات كأحسن الرمان	xxx	ملقمات أطفالهن ثديا
بين عود ومزهر وكران	xxx	كل طفل يدعى بأسماء شتى
وهو بادي الغنى عن	xxx	أمه دهرها تتـرجـم عنه

الترجمان²

وهذا دليل على بديع الخيال، والقدرة على إبداع وابتكار المعاني، والصور الجديدة فقد كانت ظاهرة انتشار القيان مصدر إلهام الشعراء، فقد قالوا فيهم أجود الشعر وأعذب المعاني، وأرق العبارات...

وإن ما آلت إليه وضعية المرأة في هذا العصر قد مشى كثيرا بأنوثتها، وجعلها موضوعا للسخرية والتهتك، وأصبحت المرأة متاعا يباع ويشترى، ما دفع الشعراء إلى التغزل بها مدفوعين بدوافع حسية شهوانية ماجنة، تعشق جسد المرأة لا روحها وتقصد التمتع بها، لكن هذا الفجور والفسوق، وهذا التغزل والتمجن لم يكن يخص المرأة العربية الحرة، وإنما كان موجها للقينة والجارية الفاجرة التي حلت محل المرأة الحرة، ولمعرفة مدى طغيان التيار الجارف الذي استولى على القلوب وهتك الأعراض وطرح الاحتشام جانبا، كان لا بد من عرض نماذج لهذا النوع من الغزل الذي اعتنقه أغلبية الشعراء في هذا العصر، "مطيع بن إياس" الذي كان خليعا حلو العشرة ماجنا متهما في دينه بالزندقة، حيث قال شعرا في جارية خرجت من قصر الرصافة، كأنها الشمس حسنا وحواليها وصائف يرفعن أذبالها، فوقف ينظر إليها إلى غابت عنه، ثم التفت إلى رجل كان معه وهو يقول:

لما خرجنا من الرصا	xxx	فة التماثيل الحسان.
يحففن أحور مالغزا	xxx	ل يميمس في جدل العنان.
قطعن قلبي حسرة	xxx	وتقسما بين الأمانى.
ويلي على تلك الشما	xxx	ئل واللطيف من المعاني.
يا طول حر حبابتي	xxx	بين الغواني والقيان. ³

شعره في قينة أو ما إليها بقبلة فصدّه:

¹ أبونواس، الديوان، شرحه وضبطه وقدم له علي فاعور، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002، ص ص 107، 108.

² عبد المنعم محمد خفاجي، الحياة الأدبية في العصر العباسي، المرجع السابق، ص 63.

³ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ج 13، ص ص 277، 290.

فقد كان مطيع بن إياس مع إخوان له على نبذ، وعندهم قينة تغنيهم، فأوماً إليها بقبلة فقالت له: تراب! فقال لها:

إن قلبي قد تصابى بعدما كان أنابا.
ورماه الحب منـه بسهم فأصابا.
قد دهاه شادن يلبس في الجيد سخايا.
فهو بدر في نقاب فإذا ألقى النقابا.
قلت الشمس يوم دجن حسرت عنها السحابا.
فإذا قلت أنلني قبلة قال ترابا.¹
شعره في ريم:

أقام "مطيع بن إياس" ببغداد وكان يهوى جارية بها يقال لها "ريم" فقال فيها:
يا ريم قد أتلقت روعي فما منها معي الا القليل الحقيقر.
فأذنبني إن كنت لم تذبني في ذنوبا إن ربي غفور.
ماذا على أهلك لوجدت لي وزرتني يا ريم فمن يزور.
هل لك في أجر تجازي به في عاشق يرضيه منك اليسير.²
وقال فيها:

يا ريم يا قاتلـتي إن لم تجودي فعدي.
بيضت بالمطل وإخـلا فك وعدي كبدي.
حالف عيني شهـدي وما بها من رمد.
يا ليتني فـني الأحـد أبليت مني جسدي.
لمـن به شقـوتي أخذت حتفي بيدي.³

شعره في جوهر: يقول "مطيع" في "جوهر" جارية بربر:
يا بأبي وجهك من بينهم فإنه أحسن ما أبصر.
يا بأبي وجهك من رائع يشبهه البدر اذا يزهر.
جارية أحسن من حليها والحلي فيه الذر والجوهر.
جاءت بها بربر مكنونة يا حبذا ما جلبت بربر
كـأنما ريقها قـهوة صب عليها بارد أسمر.⁴
وقوله فيها:

إذا ما أقبلت جوهر يفوح المسك والعنبر
وجوهر درة الغوا ص من يملكها يحبر
لها ثغر حكى الدر وعينا رشاً أحور.⁵

فالمتتبع لهذه الأبيات، يرى أن "مطيعاً بن إياس" قد عاش مغامرات كثيرة مع جواري كثيرات، وكانت له معهن قصص حب وعشق، وقد تفنن في تعذيبه وصده.
بالإضافة إلى الشاعر الملقب "بديك الجن" الذي أحب جارية نصرانية ودعاها للدخول في الإسلام ليتزوجها، فأسلمت على يده، فتزوجها وكان اسمها وردا- ففي ذلك يقول:

¹ أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، المصدر السابق، ص ص 291، 292.

² المصدر نفسه، ص ص 300، 301.

³ المصدر نفسه، ص 302.

⁴ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، المصدر السابق، ص 302.

⁵ المصدر نفسه، ص 313.

أنظر إلى شمس القصور وبدرها xxx
لم تبل عينك أبيضاً في أسود xxx
وردية الوجنات يختبر اسمها xxx
وتمايل فضحكت من أردافها xxx
تسقيك كأس مدامة من كفها xxx
وردية ومدامة من ثغرها¹
فقد تفنن هذا الأخير في التغزل بالجارية التي أحبها وتزوجها، كما تفنن في وصف جمالها الجسدي والمادي، وهذا هو ما شاع عند هؤلاء الشعراء، وهو ما ميز هذا النوع من الغزل الفاحش.

كذلك نجد "حماد عجرد" الشاعر الخليع الماجن المتهم في دينه، المرمى بالزندقة والذي كان يحب الجارية "أبي عون نافع" ويجن بها والذي يقول فيها:

إني لأهوى جوهرها xxx
وأحب من حبيبي لها xxx
وأحب جاريمة لها xxx
وأحب جيرانها لها xxx
ويحب قلبي قلبها xxx
من ودها وأحبها xxx
تخفي وتكتم ذنبها xxx
وابن الخبيثة ر بها²
وقال فيها أيضاً:

إني أحبك فاعلمي xxx
حبا أقل قليلاً له xxx
إن لم تكوني تعلمينا
كجميع حب العالمينا³

وإلى جانب شعر غزل المجان والمتهتكين، ظل الغزل العفيف يشق طريقه في استمرار وتطور، ولم تتمكن موجة المجون من السيطرة على الحركة الشعرية في العصر العباسي الأول وكانت قصيدة الغزل العفيف في العصر العباسي تعبيراً عن واقع حياة الشعراء الذين مالوا إلى هذا الاتجاه، وصورة المرأة في الشعر الغزلي في هذه الفترة صورة حضارية، تستمد أصولها من ظروف الحياة المتطورة، وتعبر عن عواطف الحرمان والهيام، وشعر العفة الغزلي يهتم بتصوير معاناة العاشق، لذلك لا تظهر صورة المرأة الجسدية في هذا اللون من الشعر – إلا نادراً - والشاعر العف يتسامى عن عالم الرغبات.⁴

وكثر هم الشعراء الذين تعفّفوا في غزلهم، وصعدوا رغباتهم، فلم لم يتهنكوا، ولم يتهاكوا على المتع، ولم يتصلوا بحبيباتهم اتصالاً مباشراً، وكان لهذا الحرمان مكان الصدارة في شعرهم، وتحتل صورة المرأة الحبيبة في قصائدهم ومقطوعاتهم الغزلية صورة مثالية، فهي نموذج المرأة غير المبتذلة، أو المستباحة.

ومن الشعراء الغزليين الذين تعفّفوا في قصائدهم الغزلية: "علي بن أديم الكوفي" و"عكاشة بن عبد الصمد العمى البصري"، و"المؤمل بن جميل بن يحيى بن أبي حفصة" و"العباس بن الأحنف"، فقد اشتهر هذا الأخير بأنه مثال العشاق الشرفاء المتعففين.⁵

فقد كانت قصائد هؤلاء وغيرهم من الشعراء المتعففين تعج بالعفة ومثال للحب الطاهر النقي الذي تعبر ألفاظه وترمز معانيه إلى الصدق المشاعر، فهم يعبرون عن حبهم للمرأة وروحها وقلبها لا جسدها ومفاتها، والبعد عن ذكر جمال ومفاتن جسد المرأة هو ممكن العذر والعفة.

¹ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ج14، صص 49، 53.

² أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، المصدر السابق، صص 304، 324.

³ المصدر نفسه، ص 339.

⁴ نور الدين السد، الشعرية العربية، المرجع السابق، ص 255.

⁵ المرجع نفسه، صص 255، 257، 260.

خامسا: المرأة في شعر العصر العباسي:

إن المتأمل في العصور الأدبية السابقة يرى أن المرأة هي مناط التكريم والتوقير عند الشعراء والأدباء على مر العصور، وهي محبوبة في الشعر يتعذب الشاعر من هجرها وصدها ويحن إلى وصالها، ويفرح بلقائها، ليبوح لها بأحاسيسه ويبيثها معاناته، ثم يصفها بأجمل الأوصاف ... ومن الشعراء من يكون عفيفا ومنهم من يوغل في الحسية والتبذل والإباحية في وصفه لعلاقته بالمرأة المحبوبة وآخر يتحدث عن علاقته بالمرأة بنرجسية ممجونة... ومنهم من يحن إليها حنينا روحيا ويعبر عن ظمئه ولهفته وعشقه دون تصوير لتحقيق تلك الرغبة...¹، وهي ملهمة لهم، فهي الأم والأخت والابنة والزوجة والحببية، ولقد تبارى الشعراء في رسم صورة المرأة الجمالية من حيث جمالها ووصفها كأنها تمثال تنافس الشعراء في نحته وتجميله. فقد أصبحت المرأة رمزا شعريا زاخرا بالدلالات، وتنوعت صورة المرأة في الشعر العباسي، فقد ارتكزت على ركيزتين هما المرأة الروح وهو الغزل العذري والمرأة الجسد وهو الغزل الصريح بحيث انتشر هذا الأخير انتشارا كبيرا، إن لم نقل أنه النوع الوحيد الذي ذاع صوته في العصر العباسي بالموازاة مع نظيره - الغزل العفيف - وذلك لما وفرته البيئة العباسية من لهو ومجون وفسوق، وانحلال في الأخلاق والمبادئ.

وقد حفلت صورة المرأة في العصر العباسي بصور متعددة، منها الأم حضن الشاعر الأول والبنت مرآة أبيها، والزوجة الحبيبة والصديقة، إضافة إلى هذه الصور صورة المرأة الجديدة التي طغت على العصر العباسي وهي صورة الجارية والمغنية والقينة والساقية، كل هذه الصور فرضتها بيئة اللهو والمجون.

كما كان الواقع الذي كانت المرأة العباسية تحياه، لم يسمح لها أن تشاطر الرجل فيما يفعل فترتد يائسة، قانطة، لا تستطيع حراكا فيما تفكر فيه، أو تحلم به خاصة المرأة الحرة التي احتلت مكانتها الجارية والقينة والمغنية، والتي اعتلت مكانتها، وارتفع قدرها وزاد شأنها باحتكاكها للشعراء وامتلاكها قلوب الرجال والسادة والسلطين.

لكن المرأة العربية الحرة، لم تكن عموما في العصر العباسي أداة للهو والعبث والتهتك على عكس الصورة التي تختص بطائفة الجواري والمغنيات.²

فقد ارتقت المرأة وبرز دورها في الحياة العربية العباسية، بحيث شغلت حيزا كبيرا في شعر الشعراء، المرأة هذا الكائن العجيب في كل شيء، الساحرة، العذبة، المرفهة الجميلة الماكرة الحنونة، المحبة، الطيبة، المضحية، المتسامحة... فهي الأم والأخت والعمة، والخالة والزوجة والابنة، هي الحبيبة والعشيقة هي ملهمة الشعراء وفنتة الرجال، تغنى بها كثير من الشعراء ونسجوا حولها أروع الأشعار، فلا يكاد يوجد شاعر إلا ولشعره نصيب في وصف المرأة أو التغزل بها.

فقد كانت المرأة مصدر إلهام الشعراء بغض النظر عن الصفة التي تتصف بها أو المكانة التي تحتلها في العائلة أو المجتمع أو الأمة، فإذا كان للإلهام من باعث يوقظه من مرقد، فلا توجد من غير المرأة الأقوى والأجدر في هذا، فهي التي تستلهم الرجل وتثير فيه مختلف الأحاسيس لهذا أدرك الشعراء أن ليس أحق من المرأة بافتتاح قصائدهم وتزيين وتصدير أشعارهم بجمالها وورقتها وسحرها، حيث اتخذ الرجل المرأة حافزا ودافعا للإنتاج والإبداع.

¹ علي بن أحمد بن محمد الزهراني، صورة المرأة في شعر يحيى توفيق، رسالة ماجستير في الأدب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، 2008، ص 34.

² خالد الحلبوني، "أدب المرأة في العصر العباسي وملاحمه الفنية"، مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، العدد 3 و4، 2010 ص ص 93، 108، 109.

فالمرأة في حياة الشاعر هي مصدر إلهام، وهي بمثابة القلب في الجسد، كما أنها تمثل الخصيب والحياة، فهي منبع الحيان، وموطن الاستقرار. وكان شأن المرأة يعلو بعد أمومتها دون شك، ذلك أن الأم تحتل مكانة عالية وشأن عظيم لأن المرأة إذا صارت زوجا أو أما علت منزلتها وصار إليها الأمر والنهي في بيتها، ومما يدل على قوة المرأة ودورها والعظيم شأنها ما قاله سبحانه وتعالى في الأم في كثير من آياته الكريمة. وكما كانت المرأة في قلب الحياة، كانت كذلك في قلب الشعر، فالأم مصدر الحياة بالنسبة للإنسانية جمعاء، بحملها وإرضاعها ورعايتها للطفولة، والحرص على التنشئة السليمة القويمة وكانت تغرس في نفوس أبنائها قيم الخير والمحبة والصدق والشجاعة فينمو الطفل على ما أخذه من والدته خاصة لأنه أكثر التصاقا بها، يمضي جل وقته برفقتها، بسبب عمل الأب خارج البيت هي الأم والأب، وهي الحامي والمحامي والمربي والمغذي... فالمرأة الأم حاضنة العاطفة الحياة ومخزن الحب والحنان.¹

كما لا تزال في إطار الأسرة وجو العائلة، فقد احتلت المرأة مكانا آخر تمثلت فيه تلك الأنثى الصغيرة واللطيفة، التي تطمح في هذه الحياة بعيون مشبعة بالرغبة والحيوية وحب الانطلاق وبقلب مشبوب عامر بالأمان وروح هائلة من الهمسات نعم إنها المرأة البنت التي تحظى بعطف الوالدين وحنانها، فكل الأنظار موجهة إلى هذه اليافعة اليانعة، الجميلة الناعمة، هي البنت والأخت، فبعدما جاء به الإسلام من إنصاف لها واسترداد لحقها الضائع في الحياة ها هي تنعم بحب والديها وترفل بالسعادة والفرح فقد استقرت الذات العربية واطمأنت إلى تعاليم القرآن الكريم وما أكدته من ضرورة النهوض بوضع المرأة، وأخذت الأسرة أو بعض الأسر ممن أنعم الله عليها بنور العقل وحكمة المنطق تعبر عن عاطفتها الطبيعية نحو البنات، وتقدم لهن أسباب الراحة والنعيم والمحبة والرعاية والحنان.

كما تعد صورة المرأة الحبيبة أو الزوجة الصور الغالبة، على صفة المرأة في هذا الشعر فقد كانت مفتاحا للحوار الشعري، والمباهاة الشخصية، والملمة الإبداع الشعري مما يدل على المكانة الرفيعة التي وصلت إليها المرأة في هذا العصر، بعد أن تبوأ مكانة عالية في عصر صدر الإسلام، الذي يعد بحق منصف المرأة العربية.

فقد رفع الإسلام مكانة المرأة وأعلى من منزلتها وحررها من قيود والعادات التي كانت شائعة في الجاهلية، ورد لها حقها المسلوب في الحياة، وقرر لها حقوقها لم تكن تعرفها من قبل، فجعل لها حقا مشروعا في الميراث وحقق لها الاستقرار الاقتصادي وجعل للزواج أحكاما ووضع للطلاق وتعدد الزوجات قيودا، وقرر للزوجين من الحقوق والواجبات المتبادلة ما به تحسن المعاشرة وتقوى الرابطة.²

¹ فاطمة تجور، المرأة في الشعر الأموي، دراسة، إتحاد الكتاب العرب، 1999، ص 12.
² عبد الباسط محسن، "مكانة المرأة في التشريع الإسلامي"، مجلة عالم الفكر، المجلد 7، العدد 1، إبريل 1976، ص 39.

الفصل الأول

الفصل الأول

حياة أبي نواس وأدبه

حياة أبو نواس وأدبه:

يتيم كثير الشغب، هذه طفولته، سكير ماجن هذا طبعه، أحب وتعذب في حياته كفر وتاب، عاشر الكبار ونادم الخلعاء، جمع ذروة الرقي في العلوم مع حضيض الإباحية في الأخلاق، إنه النواسي الذي نشأ في بيئة منحلة أخلاقيا لم تعرف سوى الفسق والفجور، ألفها صبيا وتمتع بمتعها شابا فغرق في المجون وانحرفت حياته كلها. مثل واقع "أبي نواس" نموذجا ناجحا عن واقع العصر العباسي بأكمله، في الإباحية واضطراب القيم الأخلاقية¹، غير أن عصره كان عصر علم ومعرفة وحضارة، عصر الفتن والانقلابات السياسية والثورات الفكرية، فقد ولد عندما كانت دولة الأمويين في طريقها إلى الظل، وكانت دولة العباسيين تأخذ مكانها تحت الشمس، وفي عهد هذه الدولة اتسعت اللغة العربية بثقافة الهند والصين وفارس والرومان واليونان، وأباحت حرية الفكر وحرية التعبير وحرية العقيدة، وحرية الهدى والضلال، والفجور، حرية السمو إلى البحث عن الحقائق وحرية التدرج إلى المجون والانحلال². لقد سما هذا المعذب المبدع بشعره، تدرج وعبث في دور السفالة، وندم ونسك في آخر أيامه جعل لنفسه سجلا خالدا بأشعاره ومجونه، ختم العصر والأدب العباسي بختم من أجود ما جادت به قريحته من أشعار زينها وزخرفها بألوان المجون واللهو والزندقة وإليكم لمحة تاريخية عن حياته.

1- مولده ونشأته:

هو "أبو الحسن بن هانئ"، بن عبد الأول بن الصباح³، أحد شعراء العصر العباسي وشاعر العراق في عصره، عاش في القرن الثاني الهجري⁴، كنيته الأولى أبو فراس ثم كنى "بأبي نواس" أو ذو "النواس"⁵، نسبة إلى ذؤابتين كانتا تنوسان على عاتقه، وقيل بل تكنى بذلك تشبيها بذي "النواس" أحد تابعة اليممن⁶. كان فارسي الأصل، أعجمي المحتد، لذلك أخفى أمر نسب أمه الأهوازية الفارسية حتى لا يعرف فيقدح فيه⁷، كما أن أمر أبيه وجنسه قد انبهم على بعض الرواة، حيث رأى الأقدمون أنه ينتسب لآل الحكم بن الجراح من بني سعد العشيرة اليمنية، ورأى الآخرون في أخباره أنه من أهل الشام⁸، وكان "أبونواس" من موالي "الجراح بن عبد الله الحكمي" كما كان أبوه من جند "مروان بن محمد" آخر خلفاء بني أمية، وكان مقيما بالشام ثم نقل لمرابطة الثغور في الأهواز فتزوج منها بامرأة أهوازية تدعى "جليان"، فرزقت بعده أولاد، منهم الشاعر النابه الذكر، والرفيع القدر، "أبونواس"⁹.

¹ إيليا الحاوي، فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، ط1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1997م، ص211.

² كامل الشناوي، اعترافات أبي نواس، ط2، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، ص05.

³ محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر العباسي، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، مصر، 2004م، ص139.

⁴ محمد توفيق النيفر، تاريخ الأدب العربي بالفضاء الشرقي من الجاهلية إلى النهضة، ج1، ص80.

⁵ محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر العباسي، المرجع السابق، ص139.

⁶ علي فاعور، ديوان أبي نواس، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م، ص4.

⁷ محمد عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق، ص139.

⁸ شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط1، دار المعارف، مصر، 1960م، ص157.

⁹ محمد عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق، ص141.

كان "أبونواس" يفتخر باليمن، ويحن إلى العجم، ويذكرهم في أشعاره، حنين الابن لأهله والفرع لأصله.

ولد "أبونواس" سنة 145 - 762م، وقيل إنه قبل ذلك التاريخ بأربع سنين، ولكن أين ولد الشاعر؟ أفي البصرة التي نشأ وتربى فيها أم في قرية كورة خوزستان الفارسية تدعى باستان ما تارد، ثم انتقل إلى البصرة بعد ذلك وترعرع فيها، أم في دمشق حيث كان والده الجندي معسكرا فيها مع جند "مروان بن محمد"؟ كل ذلك لا تلقى عليه الروايات قبسا من نور، ولا شعاعا من ضياء، إلا من كثرة الروايات التي تروى عنه أنه ولد في كورة خوزستان¹.

درج الطفل الشاعر على أرض الأهواز، تسير به سفينة الحياة وحيدا إلا من أمه، فقد توفي أبوه الجندي، فخرج إلى الحياة يفقد شخصه ولا يجد إلا رسمه ممثلا في أقارب أمه الذين عطفوا عليه وساعدوا إخوته على تكاليف العيش ومتاعب الأيام².

حتى إذا فقد المعين، ونضب المعين، وخرجت به أمه من الأهواز إلى البصرة وقد تكامل سنه الحولين، عليها تجد فيها ما يقيم أولادها، ويصلح حالها، والبصرة كانت منتجع الشارد ومقصد الوارد، وكعبة المتأدب والعالم، فيها أسواق التجارة منتشرة وذائعة، وألوية العلم رافعة خافقة، ونوادي الأدب واسعة وفسحة فاستقرت أم "أبي نواس" بالبصرة، وتم لها ما أرادت حياة بسيطة هادئة فيها شيء من الدعة، ونزر من السعة³.

إلا أن هناك من الرواة من يروي بأن أم الشاعر انصرفت في البصرة إلى حياة الرخيصة « فقد أعدت بيتها لاستقبال العشاق، وكانت لا تكتفي بتقديم الخمر والطعام لروادها بل كانت تقوم أيضا بتقديم النساء للرجال، وتعطيهم الفرش وتعريهم بأن يبيت بعضهم بعضا لواعج الحب والشوق والشهوة»⁴.

عرف "أبونواس" الوجود مذ رأى البصرة، فحن إلى العلم حين رأى العلماء، وطرب للأدب إذ سمع من الأدباء، فخف إلى مكاتب القرآن، ومجالس العلم ونوادي الأدب، فقرأ القرآن على "يعقوب الحضرمي" الفقيه المقرئ وحذقه، حتى إن شيخه أعجب به فرمى إليه خاتمه وقال " اذهب فأنت أقرأ أهل البصرة" ودرس النحو على "أبي زيد" و"أبي عبيدة" البصريين وتعلم العربية، حفظ كثيرا من القصائد والأراجيز⁵.

لكن أمه اختطفته من بين مجالس العلم والأدب ووضعت في حانوت لبعض العطارين غير عابثة بحاله ولا مشفقة على آماله، فمكث عنده يعمل معه حين يحضر وقت العمل ويتركه حين تسنح له ساعات الفراغ فيختلف إلى الأدباء ويتعارف بالشعراء، وينتقل بين المجالس⁶.

2- صفاته وأخلاقه:

¹ المرجع نفسه، ص ن .

² المرجع نفسه، ص ن.

³ محمد عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق، ص 141.

⁴ كامل الشنأوي، المرجع السابق، ص 6.

⁵ المرجع نفسه، ص 60.

⁶ المرجع نفسه، ص 142.

كان "أبونواس" جميل الصورة، حسن الوجه أبيض اللون، نظيف الهيئة والإشارة¹ فقد أجمعت الروايات أنه أجمل الناس وأحسنهم قداً، جمع بين جمال الصورة ورقة الطبع وخفة الروح، وزاده الله على حسن الهيئة جمال العلم فكان عذب الحديث، حلو الكلام حتى قيل أن كلامه شعر موزون².

وقد روى "عبد الله الجمار": أنه كان أبيض اللون، جميل الوجه مليح النغمة والإشارة ملتف الأعضاء، بين الطويل والقصير، قائم الأنف، حسن العينين والمضحك، حلو الصورة³. وقد وصف أيضاً بأنه: كان حسن الوجه، رقيق اللون، حلو الطبع، ناعم الجسم، عظيم الرأس شعره متسدل على وجهه، كان ألثغ بالراء يجعلها غينا، وكان نحيفاً وفي حلقه بحة لا تفارقه وكان رقيقاً، ظريف النكتة، خفيف الظل، شديد السخر والاستهزاء، ماجناً لا يبالي بما يقول ويفعل، وقد وكان يؤثر المجاهرة بفجوره وسكره، ويكره التستر، وصراحته جعلته لا يحفل بأقوال الناس، ولا يخجل من التحدث بتعهره⁴.

فترك "أبو نواس" جمال صورته شيئاً في نفوس معاصريه، ووجد من وطأة بؤسه مشجعاً له على الترفيه عن نفسه وأمانيه⁵.

كما كان شاعرنا لا يدخر للغد ما يكسبه في يومه وشعره دليل صادق على ذلك في قوله: وأشرب وجد بالذي تحوي يداك لها

وكان إفلاسه الدائم موضع اليأس من الناس، فتراه متشائماً شاكياً عابساً، وشاعرنا بطبيعته شديد الاحتقار للأغنياء الذين يستعبدون الناس بأموالهم، فإذا جلس إليهم تكبر عليهم وكان عزيز النفس يكره الإلحاح في الحاجة والمسألة.

وكانت البصرة أين إقامة الشاعر تموج بألوف الموالي الذين تدفعهم بواعث خاصة إلى اللهو والمجون والخلاعة والفسوق، فلا نسب يمسكهم على الحياء، ولا شرف يحفزهم إلى الإباء ولا قوة تجبرهم على التقوى، ولا سيد يكرههم على الحسنى، وقد تأثروا بأخلاق بلادهم وعادات قومهم، فصعب عليهم إبدالها، وإن لم يصعب عليهم إخفاؤها، وصعب على الإنسان تغيير عادة وإن لم يكن صعب عليه إخفاؤها⁷.

وإذا علمنا أن القرية أو المدينة في العصر العباسي تخالف الحي أو القبيلة في العصر الجاهلي بكثرة عدد سكانها واختلاف نسب أهلها⁸، فهكذا هي البصرة وهذه بيئتها التي كانت ميداناً فسيحاً للصالح والطالح، والفضيلة والرذيلة، والحياء والمجون، وفي هذا الجو عاش أبي نواس وهو مولى من موالى الظرفاء، دفعه دافع من نفسه، وباعث من شخصه إلى الاختلاط بالمجان⁹، وكان حضوره الدائم لمجالس الرواة والشعراء المجتمعين عنده من أكثر الأسباب ضرراً بأخلاقه لما كان يدور في هذه المجالس من

¹ محمد عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق، ص 142.

² علي شلق، أبونواس بين التخطي والالتزام، من دائرة المعارف الإسلامية، ص 40.

³ جورج غريب، الموسوعة في الأدب العربي، ط 1، دار الثقافة، بيروت، 1966م، ج 5، ص 123.

⁴ فواز الشعار، الشعراء العرب، اشرف اميل يعقوب الجيل، بيروت، لبنان، ج 1، ص 141.

⁵ محمد عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق، ص 142.

⁶ بطرس البستاني، أدباء العرب في العصر العباسية، ج 2، ص 67.

⁷ محمد عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق، ص 142.

⁸ المرجع نفسه، ص ن.

⁹ المرجع نفسه، ص ن.

فسق ومجون وخلاعة فقد استأجره هؤلاء المجان ليرافقهم في نزهاتهم حاملا عنهم أغراضهم وملازما لهم حتى حين عودتهم، فاكتمسب عاداتهم السيئة وورث أخلاقهم المتردية، فسحقا لتلك العاجة التي جعلته عبدا لشهوتهم، وسحقا لعلم ومعرفة كان ثمنها الأخلاق.

اندمج "أبونواس" في هذه البيئة المنحلة، وشرب من نبعها، واكتسى بثوبها وعبر عنها فهو الذي كان يلهو ويعبث كما يلهو سواه ويعبث ثم يصف لهوه وعبه وصفا صادقا لا يكذب فيه ولا ينافق ولا يتصنع¹.

فنشأ ماجنا بطبعه، كثير الدعابة حاضر البديهة، يغب ويضع في أماكن اللهو ومشارب الفجور والمجون، ويستمتع وينصت لمعازف القيان وأصوات المغنيات ويطرب ويبهج لزجاجات الكرم وكاسات الراح².

3- صلتة بوالية بن الحباب الأسدي:

تشاء قسمة الحياة التي لا ترحم أن لا يكون حظ الفتى - أبو نواس - إلا القليل ورأت الأقدار أن تذوقه كأس الأدناس حتى الثمالة، فأرسلت إليه "والية بن الحباب الأسدي"، بحيث كان "أبو نواس" يشتغل صبيا في دكان العطار "الحسن بن سليمان"، وكان بطبعه جميل الصورة والمنظر، حلوا جذابا.

في يوم من الأيام ذهب "أسامة والية بن الحباب الأسدي" الشاعر الكوفي الماجن في حانوته فأعجب بذكائه وجماله، فتعرف به قاصدا وتودد إليه عمدا، وقال له أراد أن يصاحبه: إني أرى فيك مخايل أرى أن لا تضيعها وستقول الشعر وتعلو فيه فاصحبني حتى أخرجك، فقال: من أنت؟، قال والية؟ قال: أبو أسامة؟ قال: نعم، قال أنا والله في طلبك وقد أردت الخروج إلى الكوفة وإلى بغداد من أجلك لأخذ عنك، وأسمع منك شعرك قال: ولماذا؟ قال شهوة للقائك ولأبيات سمعتها لك، قال وما هي: فأنشده قائلا:

جرحت فؤادي بالهوى فقلوب مجروح النواحي.

سل الخليفة صارما هو للفساد وللصلاح³

ويقول "أبو نواس" عندما رآه "والية الأسدي": فلما رآه أحبني وأدناني منه وقد كنت أميل إلى الشعر واسم والية يتردد إلى الأفواه وأحفظ كثيرا من شعره ولم أكن أعرف شخصه فلما عرفته أقبلت عليه بكل جوارحي، وقد اتفق معي على أن أصحبه إلى الكوفة في غفلة من الحسن العطار⁴.

كما أعجب "والية" بذكاء شاعرنا ورونق أدبه، وتحايل عليه حتى حمله معه إلى الكوفة ليحيطه بعنايته ويمشي به إلى دنياه الحافلة بالشعر والمجون.

كان "والية بن الحباب الأسدي" الشاعر الكوفي الخليل الماجن⁵ قد أقنع "أبو نواس" بالرحيل معه فصار "أبو نواس" وهو شاب يافع مع "والية" إلى الكوفة حيث مكث

¹ ابن منظور المصري، أبونواس، دار الجيل، بيروت لبنان، 1990، ص8.

² عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق، ص ن.

³ عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق، ص ص 142، 143.

⁴ كامل الشناوي، المرجع السابق، ص18.

⁵ أنيس المقدسي، أمراء الشعر في العصر العباسي، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، 1967، ص104.

معه ومع جلسانه من ما جنيها وخلعائها، وهو شاب وهم كثيرون عديدون، ولأستاذة "والية" الماجن سابق الاتصال بهم، وما مضى ائتلاف بجمعهم، فزاد عقدهم "بأبي نواس" تنضيدها ومجلسهم بروح الفكاهة أنسا وتغريدا، تودد إليهم وتوددوا إليه، وحمل عليهم وحملوا عليه فاجتمعوا على الشرب وتصافوا بالعتاب، وتفاكهوا بقول الشعر، وتنادوا بعذب الفكاهة وتسامروا بحلو الدعابة، وهكذا كانوا في الكوفة لهوا ولعبا وفكاهة وسمرا يدأبون عليه يسيرون إليها¹.

ولم يجد "أبونواس" صعوبة في قبول عرض "والية" بمرافقته بعد أن فقد دفئ العائلة وحنان الأبوة وبراءة الطفولة، وما زاد الطين بلة سيرة أمه الشنيعة التي غدت تؤديه في كل مكان من البصرة وكان كالمستجير بالنار من الومضاء فقد وقع في شباك شيطان كبير غمسه في بحر الآثام ويقوده إلى دنيا الشهوات فحكم عليه أن يكون ضريبة الفسق والمجون لعصره، وفي الكوفة أتيحت له فرصة الاختلاط بأئمة الفسق ورواد المجون من أصحاب والية فأصبح لا يطيب له الاجتماع إلا معهم من أمثالهم: "مطيع بن إياس"، "يحيى بن زياد"، "حماد عجرد"، فتتلمذ لهم من فنون الغواية² وتأثر بفسقهم منذ صغره وتخرج على مذهبهم³.

فوجد "أبو نواس" في "والية بن الحباب" مربيا وخليلا، ومصاحبا ونصيرا، فاطمأن إليه، وائتلف بعشيرته، حتى قال "والية" فيه:

يا شقيق النفس من حكما غبت من عيني فلما أنما⁴

وقد صار "والية" أستاذا له بعد معاشرة طويلة، جعل منه شاعرا ساحرا عربيدا زنديقا، لا يضاهيه أحد مثله في الفسوق والفجور.

تخرج "أبو نواس" في الشعر على أستاذه "والية" الماجن، وعلى من لقيهم وجالسهم من الأدباء، ولكنه بذهم جميعا وفاقهم كافة، وغطى اسمه على اسمهم فتناقلت الألسنة ذكره، كما رويت في مجالس السمر فكاهاته، وفي نوادي المجون دعاباته، فكانت سلوة البائس وأغرودة الماجن.

غير أن "أبو نواس" قد نفر منه بعدما اعتدى عليه في حانة بالسكين وانقطع عنه، عائدا إلى رشده، فتاب قليلا، وخرج إلى بادية بني أسد وظل بينهم حولا كاملا ليتزود من ينابيع اللغة⁵، فقد كانت الأعراب المقيمة بالمدن ترسل أبناءها إلى البادية، فأخرجه مع قوم منهم ليتقنوا العربية ويحدقوا اللغة، حيث جو البادية هادئ، فانتهاز "أبو نواس" فرصة سفر وفد من أبناء بني أسد إلى البادية، وطلب من أستاذه "والية" أن يخرج معهم ويتعلم العربية والغريب فأخرجه مع قوم منهم فأقام بالبادية سنة، صحت فيها لهجته وخلصت فيها عريته ثم رجع بعدها إلى الكوفة⁶.

¹ محمد عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق، ص143.

² شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ج3، ص32.

³ علي فاعور، ديوان أبي نواس، ص06.

⁴ محمد عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق، ص143.

⁵ حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1986، ص699.

⁶ محمد عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق، ص143.

ولا شك في أن "أبو نواس" قد ضاق أفق الكوفة عن أمانيه، فرغب عنه بعد أن رغب فيه، وعزم خطوة أو سع ليخطوها نحو مستقبله، وتسير بها سفينة آماله، وهكذا كان ما أراد فقد ركب قافلة حتى وصل إلى عاصمة الإسلام ودار السلام مدينة بغداد¹.

4- أساتذته ومحطات اكتسابه للمعارف:

عشق "أبو نواس" الأدب من صباه، واندفع في طلبه منذ نعومة أظافره، فبدأت بذلك رحلته في التحصيل، فكان الكتاب محطته الأولى والقرآن الكريم أول ما بدأ به فواكب على حفظه، وحرص على فهم معانيه، حتى حذقه ثم قرأه على "يعقوب الحضري" الذي دفع خاتمة إعجابا بقراءته قائلاً: اذهب فأنت أقرأ أهل البصرة².

وجلس إلى الناشئة الراوية "محمد بن حبيب" فقرأ عليه شعره ذي الرمة فأقبل على أبيه قائلاً إن عاش ابنك هذا، وقال الشعر ليقوله بلسان مشقوق³.

والحقيقة أن تحصيله الجدي لم يبدأ إلا بعد عودته من رحلته إلى الكوفة رفقة أستاذه "والية بن الحباب"، الذي كان له بالغ الفضل في رسم معالم حياته الشعرية بتوجيهاته⁴ كما فتحت أمامه كوة الحياة الشاذة على حد تعبير الأستاذ "طه حسين"⁵.

وقد أدرك "النواسي" بظننته وذكائه الثاقب أن الشاعر الحق هو الذي يستطيع الإلمام بكل علوم عصره، وينهل من كل ينابيع المعرفة، فأخذ يختلف إلى حلقات المسجد الجامع، يتزود من الدراسات اللغوية والدينية ومن الشعر القديم ومعانيه، يستمتع من "أبي عبيدة" أخبار العرب وأيامهم⁶، ويلتقط من "أبي زيد بن ثابت" غرائب اللغة⁷ ولم يفته النظر في نحو "سيبويه" وكمعظم شعراء العرب لم يكتف الحسن بإشباع ملكته اللغوية، وفصاحة لسانه فراح يثريها بفنون الشعر وروايته فتخرج على يد "خلف الأحمر" الذي له أعظم الأثر في توجيهه، وقيل لأنه لم يسمع له بقول الشعر إلا بعد أن أحفظه ألف مقطوعة للعرب ما بين أرجوزة وقصيدة ثم أمره أن ينساها جملة⁸.

وكان "أبو نواس" من أشد المعجبين بأستاذه "والية بن الحباب" وأكثر الناس احتراماً له لأنه سقاها من نبعه، ومشى على هديه، واتصف بصفاته...

والجدير بالذكر أنه هجا أكثر هؤلاء وتماجن عليهم، لكنه لم يختلف عن أحد من أساتذته حتى برع في كل علم طلب، فإذا هو رؤية الشعر، واسع الرواية، ويحفظ الأحاديث بالإسناد محكم القول، فقد كان عالماً فقيهاً عارفاً بالأحكام والفتيا، بصيراً بالاختلاف

¹ المرجع نفسه، ص 144.

² جورج غريب، المرجع السابق، ص 124.

³ المرجع نفسه، ص 134.

⁴ بطرس البستاني، المرجع السابق، ص 70.

⁵ علي شلق، أبونواس بين التخطي والالتزام، ص 41.

⁶ أبوبكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطاء، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 1، ص 449.

⁷ علي شلق، المرجع السابق، ص 41.

⁸ جورج غريب، المرجع السابق، ص 135، 136.

صاحب حفظ والنظر ومعرفة بطرق الحديث، يعرف ناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه¹.

كما نهل العلم والمعرفة من جمهرة كبيرة من أعلام عصره الذين تتلمذ على يدهم في مختلف العلوم أمثال: "عبد الواحد بن زيا"د، "يحيى بن سعيد القطان"، "أزهر بن سعد الثمان"، "أبي زيد الأنصاري"²، إضافة إلى "السجستاني البصري"، و"الأصمعي"³.

5. ثقافته:

أمضى الشاعر حياته يتلقن علوم عصره مدفوعا برغبة شديدة لذلك فبعد عودته من البادية بني أسد، التي قصدها طالبا للفصاحة من ألسن لم تفسدها الحضارة بعدما فصحت فيها لهجته، وخلصت فيها عربيته، بأشر "النواصي" دروسه ينهل من دروس اللغويين في المسجد، ويواظب على حفظ الشعر القديم ومعانيه.

ولم يكتف بذلك فقط فطلب الحديث والتفسير والفقه من أئمة حتى قيل: كان عالما فقيها عارفا بالأحكام... واطلع كذلك على الحكمة الهندية واليونانية، ولم يختلف عن الإمام بمختلف علوم عصره، فدرس علم الكلام والجدل، وراح يستظهر مصطلحاتهم في أشعاره، وقد وصله هذا العلم بالثقافات التي كان يتصل بها المتكلمين، فكان يحسن الفارسية⁴ إحسانا جعله يلوك كثيرا من كلماتها في أشعاره مما يدفعنا إلى القول بأنه اطلع على تجربة "ابن المقفع" وغيرها من الترجمات المختلفة.

كذلك ما في شعره من منطق وحكمة يؤكد اتصاله بالفلسفة اليونانية ووقوفه الدقيق على طقوس المجوس والنصارى وعقائدهم⁵.

ولكن "الحسن بن هاني" لم يختم سجله الثقافي بهذا النصيب من المعرفة فراح يتفنن في العلوم ويضرب في كل نوع منها بنصيب، فنظر في علوم النجوم⁶، وعلم الطبائع وأتقن الضرب على العود⁷، كما كان خبيرا بتربية كلاب الصيد⁸.

كما كان مطلعا اطلعا واسعا على الشعر القديم، وقد تركته ثقافته الشاملة وتميزه في كثير من نواحيها أثرا كبيرا في أفكاره ومعتقداته ومعلوماته وخبراته ودوافعه وطرق تعبيره، وخلقت في نفسه نوعا من الاعتزاز وجعلته يشعر في أعماقه أنه متميز على المستويين الشخصي والإنساني⁹.

¹ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص32.

² الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ص449.

³ علي شلق، أبونواس بين الالتزام والتخطي، ص42.

⁴ شوقي ضيف، المرجع السابق، ص223.

⁵ المرجع نفسه، ص42.

⁶ علي شلق، المرجع السابق، ص42.

⁷ المرجع نفسه، ص ن.

⁸ أبو عثمان بحرين محبوب الجاحظ، الحيوان، تحقيق يحيى الشامي، دار مكتبة الهلال، ج2، ص288.

⁹ أنيس مقدسي، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ط4، ص111.

وقد اشتهر العصر العباسي بعدة علماء وأدباء وكتاب، وكان من هؤلاء شاعر اللهو والمجون "أبونواس" الذي يعتبر من أكثر شعراء العصر العباسي إطلاعا على ضروب الثقافة المختلفة في عصره، وقد حرص يتلقى ثقافته على العلماء المعروفين¹.

6- مناداته للأمين:

عرف "أبو نواس" أبناء الخلفاء منذ قدومه أول مرة إلى بغداد وهو لا يزال شابا فقد نادى ولد المهدي فترة من الزمن، لينتقل بعدها إلى منادمة "القاسم بن الرشيد"، ولكنه ما لبث أن فارقه وتقرّب من أخيه "الأمين"²، ومن هنا بدأت الصلة بينهما، خصوصا بعد أن أمر "الرشيد" أستاذه "الأمين" أن يحضر "أبا نواس" لينشد الشعر على ابنه "المأمون"³، وراقت لهذا الأخير صلبة الشاعر فاتخذة نديما وشاطره حياة اللهو والعبث مما أضّر كثيرا بأخلاقه، فقد كان "الأمين" شديد الميل للهو، حتى إنه اتخذ "النواسي" نديما له يمدحه وينظم له ما يشاء من غزل وخمر، ولقد أحب فيه قدرته على الشراب وظل معه إلى أن لقي "الأمين" مصرعه⁴.

وكانت حياة العبث والفسوق من الأسباب التي أضاعت ملكه فيما بعد، وهذا ما ذهب إليه "ابن رشيّق" بقوله: كان "أبو نواس" نديم "الأمين" طول خلافته، حكم "الأمين" خمس سنوات وكان الشاعر في أثنائها شاعره الخاص ونديمه الأوحّد، ولا نغالي إذا قلنا أن هذه السنوات الخمس كانت نعيمة على الأرض⁵.

تولى "الأمين" الخلافة بعد موت "الرشيد"، واعتلى كرسي الخلافة وتولى الأمور في الدولة، أحس الشاعر بسعادة كبيرة جدا حيث قال:

كان الملك لم يك شيئا إلى أن قام بالملك الأمين⁶.

وكان "الأمين" في مستوى ظل "أبي نواس" فقد كانت أيام خلافته وإن لم يطل عهدا من أسعد أيام الشاعر، غير أنها لم تخلو من لحظات تنغيص ومعاناة فعندما اتخذ أعداء "الأمين" من ملازمته للشاعر حجة لهدم عرش خلافته، وكثيرا ما اضطر الخليفة لردعه وحسبه أحيانا، خاصة عندما اشتد الخلاف بينه وبين "المأمون"، الذي اتخذ رجلا يخطب في الناس بمسأوى أخيه، ومن جملة ما كان يقال عنه: كان يجالس رجلا ماجنا، كافرا، وكان مستهترا فاسقا، وكان شعوبيا يزدرى العرب⁷، وكان "أبونواس" دائم المديح للأمين" ويظهر ذلك في قوله:

لعمرك ما غاب الأمين محمد عن الأمر يعنيه إذا شهد الفضل.

ولولا مواريث الخلافة إنها له دونه ما كان بينهما فضل.

¹ عبد الفتاح نافع، الشعر العباسي قضايا وظواهر، كلية الآداب، جامعة البرموك، ط1، دار جرير للنشر والتوزيع، 2008 م، ص 56.

² بطرس البستاني، أدباء العرب في الأعصر العباسية، ص65.

³ المرجع نفسه، ص ن.

⁴ كامل الشناوي، اعترافات أبي نواس، ص144.

⁵ ابن رشيّق القيرواني أبو علي الحسن الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، دار الجيل، لبنان، ص22.

⁶ جورج غريب، الموسوعة في الأدب العربي، المرجع السابق، ص125.

⁷ منير البعلبكي، معجم أعلام المورد موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين مستقاة من موسوعة المورد، إعداد رمزي البعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1992م، ص45.

لئن كانت الأجساد فيها تباينت فقالهما قول وفعلهما
فعل.

أرى الفضل للدنيا وللدين جامعا كما السهم الريش والفوق والنصل¹.
ومن قوله يصف حراقة ركبها "الأمين" وكانت على مثال الأسد:

سخر الله للأمين مطايا لم تسخر لصاحب
المحراب.

فإذا ما ركابه سرن بحرا سار في الماء راكبا ليث غراب.
أسدا باسطا ذراعيه يعدو أهرت الشدق كالسحاح
الأنياب.

بارك الله للأمين وأبقاه وأبقى لـه وراء
الشباب.

ملك تقصر المدائح عنه هـامشي موفق
للصواب².

وقد تناول "الأمين" الخمرة المسكرة على أنواعها، ولم يأبه لأحكامها، وكان يشربها أرتالا من صدر النهار إلى آخره، حتى إذا نام استيقظ في السحر طلب إلى "أبي نواس" أن ينشطه ببعض الأبيات، فأنشده "أبونواس" قائلا:
نبه نديمك قد نعس يسقيك كأسا من الغلس.

صرفا كأن شعاعها في الكف شاربها قبس³.
فهش "الأمين" ونشط إلى الشراب، وينعم بنشوته غير مفكر في دين ولا وقار خلافة كيف لا وقد أخذت الخمرة قلبه، ووقع في حبالها أسيرا وبسطت هي سلطانها عليه، ويقول عنه "أبونواس": لا أعرف أحدا هام بالخمير، كما هام بها أمير المؤمنين "الأمين"⁴.
فقد كان كل من "الأمين" ونديمه "أبونواس" يحتسيان الخمر، إلا أن "الأمين" تراجع عن ذلك وكف عن احتسائها، كما نهى "النواسي" كذلك عن فعل ذلك، فقد أنشد "للأمين" قصيدته التي قال فيها:

أيا دارها بالمساء حتى تلينها فلن تكرم الصهياء حتى
تهينها.

أغاللي بها إذا ما ملكتها أهنت لإكرام الخليل
مصونها.

وصفراء قبل المزج بيضاء بعده كأن شعاع الشمس يلقاك دونها⁵.
فقال له "الأمين": ألم أنهك عن شرب الخمر؟ قال بلى والله يا أمير المؤمنين، والله ما شربتها مذ نهيتني عنها ومنعتني من شربها، وأنا الذي أقول:

¹ محمد عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق، ص 144.

² المرجع نفسه، ص ن.

³ أبونواس، الديوان، ص 383.

⁴ شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص 158.

⁵ محمد عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق، ص 145.

أَيُّهَا الرَّائِحُ —————
 شَمِيمًا. لا أذوق المدام إلا

نائبني بالملام فيها إمام مستقيما لا أرى لي خلافة

فأصـرفها إلى سـواي فاني ❦ لست إلا على الحديث
ندبما

كبر حظي منها إذا هي دارت أن أراها وأن أشم النسima.

فكأنني وما أزيـن منـها
التحكـمـا

كل عن حملته السلاح إلى الحرب ❦❦❦ فأوصى المقيم ألا يقيما¹.

وأنشده يمدحه يقول:

ألا يا خير من رأت العيون نظيرك لا يحس ولا يكون².

7 - أبونواس الإباحي:

كان "أبو نواس" كما زعم البعض أنه شخصية نموذجية، ولكنها ليست هي الشخصية التي شاع بها ذكره بين العامة من الأميين وأشباه الأميين، وبين الخاصة من المطلعين على الأدب الفصيح، وهي الشخصية التي تقوم على الحيلة والجواب السريع والقدرة على الخلاص القريب من المأزق والمحرجات.

فشخصية "أبي نواس" إذن التي شاعت ذكره في أيام حياته وقبل أن تتحول بها الشهرة من دلالة إلى دلالة، تجتمع في كلمة واحدة هي أنه إباحي أو ذو شخصية إباحية³.

وقد كان حقا إباحيا مغاليا في الإباحة، والمقصود بالإباحة أنه كان يستحل المحرمات ويخالف الدين والعرف والطبيعة، ولكن الإباحي قد يخفي رذائله وموبقاته وقد يداري الناس ويتسم بينهم بسمة الصلاح والتقوى، ولعل الكثير من الإباحيين في عصر "أبي نواس" خاصة كانوا على هذه السنة، لأنه كان باتفاق واصفيه عصر شكوك واختلاط ونفاق⁴.

وأيسر ما يقال بعد ذلك أنه إباحي متهتك يظهر أمره ولا يتكلف لإخفائه وذلك وصف صحيح، فمن قال عن "أبي نواس" أنه إباحي متهتك، فقد وصفه بما كان عليه لأنه كان يفعل المنكرات ويعلنها ولا يحفل بمداراتها، وهذا يكفي للصدق في وصفه على حقيقته.

فقد يتهتك المرء لأنه هين على نفسه يعلم أنه هين على الناس، مسلم بحقارته شاعر بقلة الجدوى من التستر، وأنه يهبط من المهانة إلى حضيضها، فلا ينفعه أن يحتجب ولا يضره أن يتكشف، لا يبالي أن يخرج للناس في زي الحقارة إذ ليس له زي غيرها، ولسان

¹ المرجع نفسه، ص ن.

² المرجع نفسه، ص ن.

³ عباس محمود العقاد، أبونواس الحسن بن هانئ، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ص 29.

⁴ المرجع نفسه، ص ن.

حالته كلما أحاطت به نظرات الناس المحتقرة له قال: أنا الغريق فما خوفي من البلل، فهذه حالة من حالات التهتك أو المجون وتعبر عن الإباحة المتهكة¹.

أما الحالة الأخرى فهي نقيض الحالة الأولى في باطنها وظاهرها، لأن صاحبها يتحدى بها الناس عامداً أن يسخر منهم ويكشف رياءهم، فلا يعلن رذائله كراهة للرياء وحباً للصراحة بل يعلنها لأنه يريد أن يقرر شخصيته، ويشعر الناس بوجوده ويستخف بما يسترونه ويعلنونه، فلا هو مكترث لهم متسترين ولا هو مكترث لهم معلنين²

فقد التقت في شخصية "أبي نواس" حالتان تقيضتان: حالة من ينسى شخصيته ولا يرى أنها أهل للذكر سواء كان مشهورا أو غير مشهور، وحالة من يقرر شخصيته ويتعمد الجهر بالمخالفة لأن الجهر بها هو سبيله إلى هذا القرار، فأية الحالتين إذن هي حالة "أبي نواس"؟ وأي منهما تكون شخصيته الإباحية؟

ليست هي الحالة الأولى على التحقيق، لأن ما وصل عنه وما روي من كلامه يعربان عن رغبة في التهنك والمجاهرة به، ولا يقفان عند حد الجراة وقلة التكلف للمدارة، فهو الذي يقول في الجهر بمعاقرة الخمر ببيتة الشهير:

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ❧❧❧ ولا تسقني سرا اذا أمكن الجهر³.
وهو الذي يقول في العشق:

الحمد لله الذي
 على حداثة سني.
 فتت المحبين ن طرا
 ببعض ما شاء عنى⁴.

ويواصل "عباس محمود العقاد" حديثه عن "أبي نواس" في كتابه "أبو نواس الحسن بن هانئ" في الصفحة الحادية وأربعون "41"، بأن "أبا نواس" مهما يكن من تبذله فلم تكن مسألة التبذل عنده علما بهوانه ورضاء بهذا الهوان ويأسا من دفعه بالصيانة والمداراة، إذا كان معروفا عنه - أبونواس - أنه كان يتعمد أن يلقي ذوي الوجاهة والرئاسة بالتيه والكبرياء، وكان يذكر ذلك في شعره فيقول:

لقد زادني تيتها على الناس انني ❦❦❦ أراني أغناهم وإن كنت ذا فقر .
وإنما كانت مسألة التبذل عنده مسألة ظهور متعمد واستخفافا برأي الناس لأنه يريد أن
يلقي في روعهم أنهم أهون لديه من أن يتستر لهم وأن ينزل عن لذة من لذاته لمرضاتهم.
كما يؤكد "عباس محمود العقاد" في نفس الكتاب في الصفحة الثانية والأربعون " 42"
أنه لو كانت الإباحية "النواسية" مقصورة على ما اشتهر به "أبونواس" من إدمان السكر
وإيثار الذكران على الإناث... فهذه الظاهرة واضحة، ظاهرة التحدي بالإباحية المتهتكة. فإن
صاحب الإباحية المقصورة على إدمان السكر وإيثار الذكور على الإناث قد يخجل منها
ويسترها ويجتهد اجتهاده للخلاص منها.

¹ المرجع نفسه، ص ص 29، 30.

² عباس محمود العقاد، المرجع السابق، ص 40.

³ المرجع نفسه، ص ص، 40، 41.

⁴ المرجع نفسه، ص 41.

فقد كان "النواسي" حظ وافر من اهتمام الدارسين والنقاد، ولهذه الشهرة الكبيرة، والقيمة العالية، خصه "العقاد" في كتابه ليكون مادة بحثه بحيث يقول في الصفحتين السادسة والعشرون والسابعة والعشرون "26، 27" بأنه لا جرم أن يظفر "الحسن بن هاني" بنصيب من الأخبار والأوصاف والمعالم الشخصية لم يظفر به شاعر عربي غيره لا في المشرق ولا في المغرب، ولا في زمن القديم أو الزمن الحديث، فقد شاعت الإباحية على "أبي نواس" وأصبحت صفة ملازمة له، وخصلة من خصاله، إضافة إلى إباحيته فقد شاعت على "أبي نواس" السمعة السيئة وكان من أنداده الشعراء وأضرابه في سوء السمعة من يحسده ويتنافس معه مكانته ولهج الناس بأخباره وأشعاره... لكن بغض النظر عن هذا لم ينكروا ذوي الوقار من علماء الأدب واللغة ورواة الشواهد والأمثال على "أبي نواس" البصر بالغة، والسلامة من الخطأ، وأجمعوا على أنه أسبق المحدثين بعد الجاهليين والمخضرمين في مقام الاستشهاد باللفظ المحرر والأسلوب الجزل والنسج القويم.

8 - أبو نواس والنرجسية:

الأدب في اختزال التعاريف ذاتي أنوي شخصاني، يمثل الموقف والحياة، وإذا لم يكن كذلك كان هشاً تذروه الرياح... والشعر أو لا وقبله هو التكتيف للمشاعر الذاتية والمنطق الشخصي، ولذا اتهم أصحابه بالنرجسية، وكان هذه الأخيرة - في هذا التفسير - سبة ومعة - بيد أن استعمال مصطلح النرجسية لا يشي بالتقليل من شأن من نتهمهم بها، فقد شك على الشاعر، وأي شاعر بأنه نرجسي بطبعه.

"فالحسن بن هاني" صاحب الشخصية النموذجية التي وجدت حقا ولم يخلقها الوهم من تصورات السامعين به على اختلاف الأوقات والأحوال.

فليست النرجسية طورا من أطوار العمر يمر به كل إنسان ولكنها آفة نفسية تولد مع صاحبها في رأي بعض النفسيين، وتنشأ من تربية البيئية وعوارض المعيشة الاجتماعية¹.

ويكمل "عباس محمود" العقاد حديثه عن النرجسية في الصفحة الخامسة والسبعون "75" التي تتبع أعراضها في "الحسن بن هاني" ليست حالة طبيعية تلاحظ على أنداده وفي مثل عمره وعصره ولكنها حالة منحرفة ولد ببعض أعراضها وجاءته الأعراض الأخرى من البيت والمجتمع والعصر الذي نشأ فيه وعاش فيه سائر حياته، هي حالة لا يشابهه فيها أحد من شعراء عصره.

كما وقف "العقاد" في دراسته عن أبي نواس على النرجسية عند هذا الشاعر فرأى فيها: شذوذ دقيق يؤدي إلى ضروب شتى من الشذوذ في غرائز الجنس وبواعث الإخلاص² فنستطيع القول أن آفة النرجسية ثابتة، فكل الدلالات تنهم "الحسن بن هاني" وتقيم البيئة على اتصاله بالآفة النفسية.

بالإضافة إلى حسن الوجه وجمال تركيب الجسد، اللثة وبحة الصوت التي لا تفارقه فهذه الأمور مرتبطة كل الارتباط بجهاز النطق والذي بدوره له علاقة بالنمو الجنسي عند الرجال على الخصوص، فلا يدرك الرجل سن النضج حتى يغلط صوته ويعمق ويبرأ لسانه من لكنة الطفولة ولثغات الحروف.

¹ عباس محمود العقاد، المرجع السابق، ص73.

² عباس محمود العقاد، المرجع السابق، ص33.

وتضاف إلى لثغة "أبي نواس" وبحته ظاهرة لها علاقة بالنفسية الجنسية وبالكيان الجسدي المتصل بهذه النفسية، وهي غزارة شعر رأسه والدليل على ذلك الضفيرة التي كانت مرسله من رأسه وقد احتفظ بها "أبو نواس" حتى بلوغه سن الرجولة وذلك اعتزازا بغزارة شعره، بالإضافة إلى نعومة جسمه وخلوه من الشعر واحتباس جهازه الصوتي عند الحالة التي تتوسط بين الصبا والشباب تجعله يشعر بمحاسن بدنه شعورا نرجسيا كالعشق الذي يعنيه الأطباء النفسانيون¹.

وإذا عدنا إلى آخر من عوامل نرجسية "أبو نواس" يكون بلا شك عامل التربية البيئية باعتباره وحيد أمه فقد كان البيت وكرا لنشأة منحرفة وتربية فاسدة، فالحسن أخذ من بيته النرجسية مولودا، وأخذها وهو يتربى مدلا مهملًا محروما من الرعاية الرشيدة، وأخذها من مشاهداته فيه - باعتبار أن أمه فتحت بيتها وكرا للدعارة - وهو يخطو إلى الفهم ويظن أنه يتعقل ما يراه فليس أعون على الإباحية النرجسية من مشاهدة الرياء حاضرا بغير قناع في حظائر الأسرار بين جدران البيت، وخلق بمن طبع على العبث بالعرف ألا يكثر له وهو يرى المساتير من الرجال والنساء أمام الناس باديين على حقيقتهم في خلوات الفجور والمجون².

كما كان للبيئة الخارجية تأثير كبير على تكوين النرجسية في نفسية "أبي نواس" وتتطلب البلية من بيئة المجتمع، حيث فتح "الحسن بن هاني" عينيه على الدنيا العريضة من مدينة البصرة فرضة العالم كله في ذلك الزمان.

فالبصرة في موقعها مثابة الطلاب والقصاد من كل بلد وكل نحلة وفيها محاسن الحضارة ومساوئها مبذولة لمن يشاء كيف شاء، فهي من جهة منبع العلوم والآداب فهي من جهة أخرى محطة للهو والغواية والمجون... فقد وفرت البيئة الاجتماعية كل ما يحن إليه مزاج الإباحية والغرام والخروج عن كل مألوف، ففي البيئة التي ترعرع فيها النواصي وجد فيها ألوان مستطاعة مما يحلم به ويميل إليه طبعه ويرضي أهواء النرجسية في نفسيته، ويكاد "أبونواس" يتشكل بكل شكل من الأشكال المتوافرة في البيئة الاجتماعية البصرية، فقد تعلم كل الفنون، وأجاد مختلف العلوم كي يجد سهولة في التلون بمختلف الألوان، فتعلم العزف على العود ودق الدفوف ليسلك مسلك المسمعين والقيان بين طلاب الملاهي والفنون، وتعلم التنجيم واللغة والفقه والحديث وتعلم القراءة والتجويد، ونظم الشعر وروى قصائد الفحول، وتعلم العطارة والتجارة، والأخبار والأنساب، وتردد على معاهد الدرس ومعاهد الرقص والسكر والمجون، وتداول هذه الأدوار كأنما يخلع لباس دور من أدوار التمثيل ليلبس غيره على المسرح، مسرح الحياة³.

وأيا كانت الشخصية التي يلبسها للعرض والظهور، فقد كانت وراءها جميعا تلك النرجسية التي تغريه أن يتشكل بجميع هذه الأشكال، وقد كانت كل هذه الآفات بمثابة غذاء تغذت عليه نفسية "أبي نواس"، فهي كالثمرات في التربة المزروعة تمتص كل ثمرة من أرضها وهوائها وضياؤها ما يلائم بذورها ويلئم طعمها وشكلها ولونها... وإلى جانبها على

¹ المرجع نفسه، ص ص، 78، 79.

² عباس محمود العقاد، المرجع السابق، ص 86.

³ المرجع نفسه، ص 90.

مد الباع ثمرة أخرى تمتص من التربة والجو طعما غير ذلك الطعم وشكلا غير ذلك الشكل، ولونا غير ذلك اللون ... وفي البذور سر ذلك التباعد على القرب بين الثمار.

أما "أبو نواس" فقد نبت بين بذور فاسدة شريرة وأحاطت بها كل أنواع الطفيليات والحشائش الضارة، نبت بين أنواع الإباحية والشذوذ من جميع الآفاق في مآلف الغواة والفساق، فقد كانت المحنة أقوى من طاقة المقاومة عنده لو كان يقاوم، وإنما كان على عكس ذلك ينطلق انطلاقا ليسبق النظراء في حلبة الإباحية والمجون والنجسية...¹

كما ساهمت عوامل أخرى في نماء الروح النرجسية لدى "أبي نواس" منها العصر السياسي الذي تقلبت فيه الأوضاع السياسية وتماجن فيها الجميع ليرسوا إلى بر الأمان فقد زامل "أبو نواس" في هذا العصر كثيرون، منهم الشعراء والأدباء، ومنهم الظرفاء والندماء، والعلماء والحكماء، ولكن أحدا منهم لم يبتل بمحنة العصر كما ابتلى بها، لأنه كان مستعدا للإباحة بتكوينه وتربيته، ولأنه -وهذا الأهم- عاش في قلب التقلبات في زمنه وعصره، إضافة إلى العصر الثقافي الذي كان مرتبطا كل الارتباط بالعصر السياسي، فمن آفات الإباحة في العصر الثقافي ما يصيب أبا نواس وإضرابه خاصة فيغريهم بالإباحة حيث لا يغري بها كل نبات في ذلك العصر، وعلى هذا التوتر والإضراب كان "أبونواس" لا حرمة له بين الحرمات.

فمجتمع مثل هذا لا استقرار فيه، يسوده الانحراف ويعج بالأمراض وكل واحد يعاني من داء، فداء "أبي نواس" هو النرجسية بدخائلها وتوابعها وخفاياها وألوان شذوذها².

وجملة القول أن هذه الآفة تفسر كل عادة من عادات "الحسن بن هاني" وكل خبر من أخباره وكل نزعة من نزعاته، تفسر غرامه الفاعل والمنفعل، وتفسر غرامه بالنساء، وكل ما عرف عنه من شذوذ جنسي، وتفسر ولعه بالعرض والعلانية واستهتاره بسوء القالة لأن هذا كله يتولد من تشخيص الذات بالصورة التي يستملحها النرجسي ويتخيلها في خوالجه الجنسية، ومن هيامه بالمرض ولفت الأنظار إلى الذات، وتقرير وجودها بالتحدي والمخالفة.

فكل هذه الشخصية وما فيها من أثر التكوين المولود وأثر البيت، وأثر البيئة الاجتماعية، وأثر العصر من جانب السياسة وجانب الثقافة، هذه العوامل وإن كانت مجتمعة أو متفرقة، وإن اجتمعت إلى جانبها عوامل أخرى أسهمت ومن دون تردد في خلق شخصية نرجسية بلا منازع، اتصف وحصل على لقبها شخص واحد كان جديرا بها لاجتماع كل هذه الصفات والعوامل في شخصيته، إنه "الحسن بن هاني" - أبو نواس -.

9 - أبو نواس والشيطان:

للشيطان تاريخ قديم مع الشعر، وقد كان "أبا نواس" كثير اللهج بذكر الشيطان كثير التعويل عليه في غواياته ومغامراته، بيد أنه كان للشيطان ذكر عند غير "أبي نواس" مما جعل منه نماذج مختلفة لكل نموذج منها غرض يسعى إليه، ومجال يعمل فيه.

فهناك شيطان شاعر الجاهلية الذي يصحب الشاعر ويوسوس له بدقائق المعاني وخفايا الأفكار التي لا ينفذ إليها بغير معونة الجن، لكن هذا الشيطان لا شأن له بوساوس الضمائر ووساوس الأخلاق، فالشيطان لبس أكثر من لباس وظهر في أكثر من هيئة

¹ عباس محمود العقاد، المرجع السابق، ص ص 91، 92.

² المرجع نفسه، ص ص 94، 96، 98.

وحلوة، وكانت الشياطين تختلف باختلاف أصحابها واختلاف الغرض والهدف من استحضارها واللجوء إليها.

فشيطان "أبي نواس" يختلف كل الاختلاف عن الشيطان الذي يعرفه الناس ويجمعون على أن مهمته الوحيدة في هذه الدنيا هي الإغراء بالمعاصي والذنوب، وتضليل كل مهتد وجره إلى الانغماس في حمأة الذنوب، فشيطان الناس أمر يوسوس في صدور الناس وينزغهم لينحدروا في مزالق الشرور، أما شيطان أبي نواس فهو شيطان خاص به ملازم له، يأمره هو فيأتمر، ويدله على الميدان الذي يجب أن يعمل فيه فيطيع صاغرا مختارا من غير تمنع ولا تردد، فإذا أغرى الشيطان الناس بشرب الخمر فذلك شأنه ولا حق لأحد في أن يحول بينه وبين ذلك، ولكنه مطالب عند "أبي نواس" بأن يكف عنها عذاله وأخصامه وأولئك الذين يأنف ويتعالى عن مجاراتهم إياه في تعاطيها ومعاقرتها¹، وكأنما خلق الشيطان لمراعاة المزاج النرجسي الذي يمتاز به "أبو نواس".

إن شيطان "أبي نواس" هو الشيطان الذي يريده، فيه كل خلة من الخلال بالقدر الذي ينتفع به "أبو نواس" فيه التيه والخبث والعلم والحيلة والظرف على حسب الطلبة الموقوتة والحاجة العارضة، وكأنه لم يخلق إلا "لأبي نواس" خاصة، ولا عمل له إلا أن يرضي "أبا نواس" ولو خالف مهمة حياته وهي الإغراء بالمعاصي والذنوب.

فمن مهمة إبليس أن يغري الناس بشرب الخمر ما استطاع، ولكنه مطالب عند "أبي نواس" بأن يكف عنها عذاله ومن يرتفع عن مشابعتهم إياه في تعاطيها حيث يقول:

ناديت إبليس ثم قلت له لا تسق هذا الشراب عذالي.

وإبليس في صورته عند أبي نواس تياه خبيث:

عجبت من إبليس في تيهه وخبث ما أظهر من نيته.

ولكنه في كل أولئك إبليس خاص "بأبي نواس"، يخدمه على الطلب ويؤثره بالخدمة ويذل له من يعصيه، وكأنما خلق إبليس "لأبي نواس" الذي يتدلل ويتأبى ولا يملك إبليس إلا أن يجاريه في دلاله وتأبيه.

وتروي بعض القصص أن إبليس أبى أن يسجد "لآدم" كما هو معروف، لكنه إن طلب له أن يسجد "لأبي نواس" لسجد، «... فعلمت أنه إبليس، فقلت فما عندك؟ قال عصيت ربي في سجدة فأهلكني، ولو أمرني أن أسجد لهذا ألف سجدة لسجدت»؛ أي لسجدت "لأبي نواس"².

ويروى أن أستاذ "أبي نواس" "والية بن الحباب" قال أنه: «كان نائما و"أبو نواس" غلامه نائم، إذ أتاه آت في منامه فقال: أتدري من هذا النائم إلى جانبك؟ قال: لا... قال هذا أشعر منك وأشعر من الجن والإنس، أما والله لأفتتن بشعره الثقيلين ولأغرم به أهل المشرق والمغرب، قال فعلمت أنه إبليس فقلت له: فما عندك؟ قال: عصيت ربي في سجدة فأهلكني، ولو أمرني أن أسجد لهذا ألف سجدة لسجدت».

¹ عباس محمود العقاد، السابق، ص 5، 6.

² عباس محمود العقاد، المرجع السابق، ص 105، 107، 108.

ومن رضاء "أبي نواس" أن يسجد إبليس له ولا يسجد لآدم، وقد كان من منافع إبليس في مجون "أبي نواس" أنه يكفل له وجاهة التميز بالخمرة التي هو كفؤ لها دون عذالة، فهو يخصصه بها ويصرف عذالة عنها¹.

وينم "أبو نواس" على أخفى الخفايا بين جوانحه حين يعجب من تيه إبليس على "آدم" ثم خدمته لشهوات أبنائه، أو بعبارة أخرى لشهوة ابنه أبي نواس خاصة:

عجبت من إبليس في تيهه xxx وخبث ما أظهر من نيته.

ناداه على آدم في سجدة xxx وصار قوادا لذريته².

أو على الأصح أنه قد صار قوادا خصوصيا "لأبي نواس".

ومن إبلسيات "أبي نواس" ما قاله في إبليس في قصيدة له:

لما جفاني الحبيب وامتنعت xxx عني الرسائل منه والخبر.

واشتد شوقي فكاد يقتلني xxx ذكر حبيبي والحلم والفكر.

دعوت إبليس ثم قلت له xxx في خلوة والدموع تتحدر.

أما ترى كيف قد بلّيت وقد xxx أفرح جفني البكاء والسهر³.

وقوله في موضع آخر:

نمت إلى الصبح وإبليس لي xxx في كل ما يؤثمني خصم.

رأيت في الجو مستعليًا xxx ثم هوى يتبعه نجم.

أراد للسمة استراقا فما xxx عثم أن أهبطه الرجم⁴.

10 - أبو نواس والخمر:

كان عصر "أبي نواس" حافلا بالكفر والفسوق، كفر العقول وفسق الآراء والأفكار لكن كفره وقسوته لم يقف عند حدود العقل والفكر بل تجاوزوا هذا الحد إلى أشياء أكبر، لهذا السبب خصه التاريخ بعنايته وذكره ودراسته، إلا أن "أبا نواس" قال: أن التاريخ خصني بلعنته، ولو كان التاريخ عادلا لوزع لعنته على شعراء عصري جميعا⁵.

وفي كأس "أبي نواس" تجربة خمارة، وخمرة معتقة شرايين جسده، فقد أخذ الخمر مأخذه في رأس "أبي نواس"، وقد جرى مأوه بحورا في فجاج الأهواز والبصرة وسبح في لججه الشعر العربي، وما زال سبح له بعد أن لطعته موجة باردة من عقار "النواسي" بكر مزعر، فكانت الخمرة مجمل دائرته الشعرية، ومع كل ما نظمه "النواسي" من أشعار إلا أنها لا ترقى إلى الخمريات التي جادت بها قريحته، فقد كانت المرأة وما تشغله من حيز في حياته وما لها من أهمية وقيمة إلا أنها أمام الخمرة كانت دائما تحتل المرتبة الثانية، فقد كانت كاسات الخمر بمثابة عرائس الشاعر.

فالخمر يحتل مكانا مرموقا في حياة "أبي نواس"، ودار عليها جل شعره، وقد كانت "لأبي نواس" بواعث دعت إلى معاقرة الخمر وإدمانها وقد نحصرها في ثلاثة بواعث⁶:

¹ عباس محمود العقاد، المرجع السابق، ص ص، 107، 108

² المرجع نفسه، ص ص، 107، 108.

³ المرجع نفسه، ص ص، 42، 43.

⁴ المرجع نفسه، ص 44.

⁵ كمال الشناوي، اعترافات أبي نواس، ص 38.

⁶ عباس محمود العقاد، المرجع السابق، ص 7.

- **أولاً:** العقدة النفسية التي تولدت لديه من جراء الفضاضة التي كان يشعر بها من ناحية الانتساب إلى أم وأب بعيدين عن مجال الافتخار حين يتبارى الأنداد في التفاخر بشرف النسب الذي عاش فيه "أبو نواس"؛ كانت فئة فيه تعتمد على الإشادة بنسبها، لأن الافتخار بالأنساب سمة العصر العباسي والوسيلة التي تثبت بها كل فئة جدارتها بموضع الصدارة.

- **وثاني:** هذه البواعث ما يعترى صاحب الطبيعة النرجسية من نوبات السامة كلما خلا إلى نفسه، وفرغ من العمل أن كان له عمل يشغله، والطبيعة النرجسية تستثقل الوقت وتضجر من طوله، فتلجأ في دفع هذا الضجر إلى كل ما يشغل ويلهي، وينبه ويستثير وكل ذلك مائل في الخمر وطول إدمانها.

- **وثالث:** هذه البواعث التي دفعت "أبا نواس" إلى إدمان الشراب باعث مرجح الاحتمال وهو سوء العيش، والفاقة التي تحول دون حصول الجسم على الغذاء الجيد والكافي، وتوفير الحركة والنشاط لكل جارحة فيه¹.

ومن بين العقد النفسية التي كان يعاني منها "أبو نواس"، عقدة الإدمان، فقد كان إدمانه الخمر هوساً ولم يكن مجرد عادة أو لذة ذوقية.

وقد كان ديوان الشاعر أصدق ترجمة لحياته الباطنية، ويصدق هذا على "أبي نواس" كما يصدق على سائر الشعراء المطبوعين، وهو أصدق ما يكون على خمرياته التي تفيض بدلائل العقد النفسية، ومركب النقص الذي يساوره من انتسابه إلى كل من أبويه وسوء المعيشة وسوء البيئة الاجتماعية².

فعند قراءتنا لديوان "أبي نواس" نواجه صورة الخمر واضحة في مقدمات القصائد وداخلها، وكأنها السمة المميزة للقصيدة عنده، ليعبر من خلالها عن التحول الذي أصاب القصيدة العربية على يد هذا الشاعر، فقد حاول الشاعر "النواسي" أن ينحت تجربة جديدة بالانفتاح على عالم الخمر وصورته بدلاً عن صورة الطلل، هذه الصورة قد تبدو جديدة لكنها في عالم الشعر العربي ليست هي كذلك، فثمة كثير من الشعراء العرب صوروا الخمر أو جاء الخمر في ثنايا قصائدهم³.

وكان يتخذ "أبونواس" من الخمر مجالا للتعبد والتبتل، والشعور بالذات المتحررة من قيود الزمان والمكان ويجعل من الخمر مجالا للتخلص من قلقه الوجودي، وشعوره بتفاهة الحياة، هذا على اعتبار أن الزمن من أكبر العناصر التي عن القيمة المتغيرة والمتحولة وهو هنا يصف جمال مجلسها في قوله:

ومجلس ماله شبهه	حل به الحسن والجمال
يمطر فيه السرور سحاً	بديمة ماله انتقال
شهدته في شباب صدق	ما إن يوازي لهم فعال
تأخذ صهباء نبت كرم	عذراء لم يؤوها الحجال ⁴

¹ عباس محمود العقاد، المرجع السابق، ص 119.

² عباس محمود العقاد، المرجع السابق، ص 119.

³ سعيد محمد الفيومي، «سلطة التحول في القصيدة عند الشاعر أبي نواس»، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، العدد الثاني، المجلد العشرون، جامعة القدس المفتوحة غزة، يونيو، 2012، ص 150.

⁴ اسكندر أصاف، ديوان أبي نواس، ط1، المطبعة العمومية، مصر، 1898م، ص 310.

ويشرب "أبو نواس" الخمر لأنها شراب الملوك أو الشراب العريق الذي عاش مع أجداد الأكاسرة والقيصرة وقبل مدار النجوم وذلك في قوله¹:
تحيّرت النجوم وقف لم يتمكن بها المدار.
وهو يستريح إلى شربها حيث لا فخار بالأباء والأجداد بين الندامى الذين يهابونه ويتذلّلون بين يديه²:

وإذا أنادم عصبة عربية بدرت إلى ذكر الفخار تميم.
وبنو الأعاجم لا أحاذر منهم شرا فمنطلق شربهم مذموم.
وجميعهم لي حين أقعد بينهم بتذلّل وتهيب موسوم
ومنادمة الخمر هي الوجاهة التي يسمو بها الشاعر على النظراء وهي التي تنفث فيه الزهو وانفجار بديلا من زهو السادة الأصلاء وفخار الأبناء والآباء.
ويلاحظ على "أبي نواس" باعتباره نرجسيا أنه يميل إلى حب الخمر والإدمان عليها وهذا ما يظهر في خمرياته هذا الولع بكل ما ينبه الشعور ويدفع السامة ويوقع في خلده أنه مشغول بما يشغل ويثير، فهو مع السكر والسماع والملاحظة لا ينسى أن يشمل مخافة صاحب الحان وذعره وفزعه، ويعجبه أن يرى الساقى بين الخوف والرجاء وذلك يتضح في قوله³:

لما قرعت عليه الباب أو جله وقال بين مسر الخوف والراجي.
وقوله عنه فزعا شديدا الفزع:
فقام لدعوتي فزعا مروعا وأسرع نحو اشمال الذبال.
وقوله :
فقام إلي مذعورا يبلي وجون الليل مثل الطيلسان⁴.

ومن أجمل ما قاله "أبو نواس" في الخمرة:
دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء.
صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها لومسها حجر مسته سراء.
قامت بإبريقها والليل معتكبر فلاح من وجهها في البيت لألاء.
فأرسلت من فم الإبريق صافية كأنما أخذها بالعين إغفاء.
رقت عن الماء حتى ما يلائمها لطائفة وجفا عن شكلها الماء.
فلو مزجت بها نورا لمازجها حق تولد أنوار وأضواء⁵.
وقوله:

أما يسرك أن الأرض زهراء والخمر ممكنة شمطاء عذراء.
يارب منزل خمار أطفت به والليل حلتها كالقار سوداء.

¹ عباس محمود العقاد، المرجع السابق ، ص119.

² المرجع نفسه، ص ن.

³ المرجع نفسه، ص123.

⁴ المرجع نفسه، ص ن.

⁵ أبونواس، الديوان، ص234.

فقام ذو وفرة من بطن مضجعه	xxx	يميل من سكره والعين وسناء.
ما وال تاجرها يسقي وأشربها	xxx	وعندنا كاعب بيضاء حسناء. ¹
ويقول واصفا الخمر والكأس والقدر:		
فالخمر فينا كالبحادي حمرة	xxx	والكأس من ياقوتة بيضاء .
والكوب يضحك كالغزال مسجا	xxx	عند الركوع بلثغة الفأفاء.
وكان أقداح الزجاج إذا جرت	xxx	وسط الظلام كواكب الجوزاء. ²
وقوله:		
لا يصرفنك عن قصف واصباء	xxx	مجموع رأي ولا تشتيت أهواء.
واشرب سلافا كعين الديك صافية	xxx	من كف ساقية كالريم حوراء.
صفراء ما تركت زرقاء إن مزجت	xxx	تسمو بخطين من حسن ولألاء.
تنزو فواقعها منها إذا مزجت	xxx	نزو الجنادب من مرج
وافياء.		
ليست إلى النخل والأعناب نسبت—ها	xxx	لكن إلى العسل الماذي والماء. ³
وقوله:		
جاءت كشمس ضحى في يوم أسعدها	xxx	من برج لهو إلى آفاق سراء.
كأن—ها ولس—ان الماء يقرع—ها	xxx	نار تأجج في
آجام قصباء.		
لها من المزج في كاس—اتها حرق	xxx	ترنو إلى شربها من بعد
اغضاء.		
ك—أن مازج—ها بالماء طوق—ها	xxx	منزوع جلدة
صعبان واعفاء. ⁴		
وقوله:		
وم—ازال يغلي—ي مهرها ويزيده	xxx	إلى أن بلغنا منه
غاية القصوى.		
رحيقا أبوها الماء والكرم أمها	xxx	وحاضنها حر الهجير
إذا يحمى.		
إلى قوله:		
أميتت بلذات الكؤوس نفوسه—م	xxx	فأنفسهم أحياء وأجسادهم موتى.
وساق غري—ر الطرف والذل فاتن	xxx	ربيب ملوك كان والدهم كسرى.
حثنا مغنينا على سرب كأسه	xxx	فتدركه كأس وفي كفه أخرى .
فامسك ما في كفه بشم—اله	xxx	وأومى إلى الساقى يسقيه
باليمنى.		
فشبهت كأسيه بكفيه إذا بتدا	xxx	سراجين في محارب قس إذا صلى.

¹ المصدر نفسه، ص 235

² المصدر نفسه، ص 237

³ المصدر نفسه، ص ن.

⁴ أبو نواس، الديوان، ص 238.

إيدرا علي الكأس تنشف البلوى وتلتذ عيني طيب رائحته الدنيا.¹
وقوله:

من ذا يساعدي في القصف والطرب على اصطباح بماء المزن والعنب.
حمراء صفراء عند المزج تحسبها كالدر طوقها نظم من
الحبب.
من ذاقها ———— لم ينسها أبدا حتى يغيب في الأكفان
والترب.²
وقوله:

اصدع نجي الهموم بالطرب وانعم على الدهر بابتنة العنب.
من قهوة زانها تقادما ———— فهي عجوز تعلو على الحقب.
دهريّة قد مضت شببتها واستنشقتها سواف الحقب.
كأنها في زجاجها قيس يذكر بلا سـورة ولا لهب.
فهي بغير المزاج من شرر وهي إذا صفقت من الذهب.³
وقوله:

أليت أن أشرب مشمولة من خمر قلوب وعانـات.
من قهوة ما مثلها قهوة تحلف بالعزى وبالـلات.
لو أن لقمان على حكمه يشرب منها خمس شربات.
لقام والإبريق في كفه يسجد للنرديق والعاتي.⁴
وقوله:

اسقني والليل ———— داج قبل أصوات الدجاج.
اسقني صهباء صرفا لم تدنس بمـزاج.
ما رأت مذ عصورها نار ضوء للـسـراج.
هي لدفع الهم والأحزا ن من خير عـلاج .
حبذا ذاك لـقـاحا في أباريق الزجاج.⁵
وقوله:

عاذلي في المدام غير نصيح لا تلمني على شقيقة روعي.
لا تلمني على التي فتننتني وأرتني القبيح غير قبيح.
قهوة تترك الصحيح سقيما وتعير السقيم ثوب الصحيح.⁶
وقوله:

الخمر تفاح جـري ذائبا كذلك التفاح خمر جمد.
فاشرب على جامد ذا ذوب ذا ولا تدع لـذة يوم لغد.⁷

¹ المصدر نفسه، ص239.

² المصدر نفسه، ص248.

³ أبو نواس، الديوان، ص 248.

⁴ المصدر نفسه، ص251.

⁵ المصدر نفسه، ص254.

⁶ المصدر نفسه، ص258.

⁷ المصدر نفسه، ص271.

وقوله:

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر وما الغين إلا أن تراني صاحبيا
فعيش الفتى في سكرة بعد سكرة وما الغم إلا أن يتمتعني السكر.¹
وكثيرة هي روائع "أبو نواس" في الخمر، وكانت هذه نقطة من بحر بالمقارنة إلى
خمرياته التي جعل لها فصلا خاصا بها يكون فصل في ديوانه.
ويمكن أن نختصر حب "أبي نواس" للخمرة ومعاقرتها وإدمانها في قول الأدبية
والناقدة "أحلام الزعيم": ... أن هناك أكثر من عامل قد جعل من "أبي نواس" شاعر
الخمرة في أدبنا العربي، منها أنه أحب الخمرة وبلغت عنده مرتبة كبيرة من التعظيم
والتقديس حتى أنه استطاع أن يخلق منها كونا شعريا يجسد من خلاله طاقاته الروحية
والإبداعية والفكرية، ويخلق بواسطتها عالما نواسيا بأفكاره وصوره وقيمه ولذاته. لقد
عكست خمرة "أبي نواس" صورة روحه وعمق نظرته إلى الحياة والوجود والإنسانية،
وحملت من الإيحاءات والأبعاد ما جعلها خمرة على جانب كبير من الخصوصية. خمرة
يمتزج فيها الإحساس بالفكر والروح وتذوب فيها النفس توقا إلى التطهير والخلاص. خمرة
ترتقي في صفاتها لتحمل صفات كل ما هو جميل ونقي. خمرة تعج بالصور والأسرار
وتتوهج بالإيحاءات.²

11- ملامح من شخصية أبي نواس:

إن محاولة فهم عالم "أبا نواس" وخاصة في جانبه الفني لا بد أن تصحبها أو تسبقها
محاولة التعمق في فهم شخصيته، هذه الشخصية الفريدة التي ساهمت في تكوينها عدة
عوامل ومقومات، فأضحت شخصية لها خصائصها وميزاتها التي تنفرد بها وتميزها عن
شخصيات أخرى من عصره، فقد كانت له مواقف في الحياة من كل جوانبها جعلته يكون
إنسانا مبدعا في شعره وفنه، ماجنا شاذا في حياته، وإذا حاولنا التعرف على شخصية أبي
نواس فإننا سنلاحظ بعض الملامح الأساسية التي يبدو أنها شكلت صورة متكاملة لهذا
الشاعر وبينت موقفه ورأيه خاصة في المرأة باعتبارها موضوع أشعاره وتتخلص أهم تلك
اللامح في موقفه من الحياة والمرأة وأسباب انغماسه في المجون.
أما موقفه من الحياة فالملاحظ أن حياة "أبو نواس" كانت حياة لهو وعبث فقد أقبل على
الحياة وخاضها وعاشها كما يقول د. "محمد زكي العشماوي" بكل وجدانه وإحساسه
ومارس متاعها ولذاتها واستخفه ما فيها من طرب³. وكان يعيش يومه دون اكتراث لما
ينتظره غدا؛ فقد كان يعيش يومه ويتمتع به ويتفنن في الاستمتاع به، فمضت أيامه كلها لهو
وعبث واستهتار، لا يهيمه كيف السبيل لارتكاب الفاحشة، بقدر ما تهيمه الفاحشة ذاتها وكيف
يقع فيها ويستمتع بها.

¹ أبو نواس، الديوان، ص 173.

² أحلام الزعيم، أبو نواس بين العبث والاعترا ب والتمرد، ط1، دار العودة، بيروت، لبنان، ص147.

³ محمد زكي العشماوي، موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي، دار النهضة العربية للطباعة والشعر، بيروت، لبنان، ص170.

أما موقفه من المرأة، فقد أجمع الرواة على عدم صدق عاطفة "أبا نواس" اتجاه المرأة وفي طليعة هؤلاء نجد د. "طه حسين" يصرح قائلاً: إن "أبا نواس" لم يكن جادا ولا صادقا حين يتغزل بالنساء، وإنما كان مازحا وبعبارة أخرى كان مخادعا وكان كاذبا.¹ فقد كان الشاعر لا يذكر النساء في شعره تعلقا، وإنما لإرضائهن وتملقهن واتخاذهن وسيلة لإرضاء مجونه من جهة، وفنه من جهة أخرى.

أما عن أسباب انغماسه في المجون، فقد عرف المجان في تلك البيئة بأنهم الظرفاء والمجون هو الظرف على اعتقادها وفي طليعتها "أبو نواس"، فقد نصح له الأمير "أبو العباس محمد" أن يتوب عن المجون فقال له: أما المجون فما كل أحد يقدر أن يمجن وإنما المجون ظرف ... ولست أبعد فيه عن حد الأدب أو أتجاوز مقداره.²

كما أن رفقاء السوء من الشعراء الخلعاء كان لهم دور في مجون شاعرنا من أمثال: أستاذه "والية بن الحباب"، و"مطيع بن إياس"، و"حاد عجرد"، و"عيسى بن غصين" و"ابن زنقط" وغيرهم ممن كانوا يكبرونه في السن أو يقاربونه، ولكنه كان أشهرهم بمناحهم في المجون، لأن دواعيه إليه أكثر وشعره فيه أيسر.³

وقد كان الشعراء السابقين الذكر يشدون "أبا نواس" إلى المجون شدا، ويدفعون به إليه دفعا، ولكن هذا لا يعني أنه السبب الحقيقي الذي دفعه للانغماس في المجون بل علينا أن لا ننسى تأثير العصر الذي كان على حد قول د. "محمد زكي العشماوي" أنه عصر شك ومجون وإباحة وتهت⁴، فتيار المجون لم يكن إلا انعكاسا لما كان يجري في الحياة في القرن الثاني للهجرة، إذن فمظاهر العصر وتناقضاته، وأجوائه الصاخبة وإضافة إلى الرفقة السيئة وغيرها من العوامل التي أدت إلى ظهور تيار المجون في العصر العباسي الذي كان المجون فيه منبع ينهل منه كل الشعراء، وكان شاعرنا "أبو نواس" من أحدهم فقد شرب وأكل من الفاحشة والمجون وتزين بهما وجاهر بهما.

12- توبة أبي نواس ووفاته:

لما كان "أبو نواس" يغوص في بحر الفواحش والمجون، نصح له الأمير "أبو العباس محمد" أن يتوب عن المجون فقال له: أما المعاصي فإنني أثق فيها بعفو "الله عز وجل" وقوله تعالى، فو الله لو أن "السندي" يقول ما قاله "الله عز وجل" لو ثققت به، فكيف يقول رب العالمين⁵ وهو يقول: «يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا»⁶، فقد كان إلى جانب مجونه وانحرافه، متيقن بأن "الله عز وجل" غفور رحيم.

كما عصفت "بأبي نواس" السنون وتكرر له الدهر، وكشف الزمن له عن أنيابه ودبت السقام في جسمه، وتآكلت أجزائه، وغزا الشيب مفرقه، وهجره الشباب دون رجعة

¹ طه حسين، حديث الأربعاء، ج 2، ص 423.

² محمود عباس العقاد، أبو نواس الحسن بن هاني، ص 153.

³ المرجع نفسه، ص ن.

⁴ زكي العشماوي، المرجع السابق، ص 170.

⁵ محمود عباس العقاد، أبو نواس الحسن بن هاني، ص 153.

⁶ سورة الزمر، الآية 52.

ودخلت الشيوخوخة جسده دون استئذان، وسكنته وأخذت تنهل منه وتأكله شيئاً فشيئاً وأخذت الموت تتسلل إليه وتأكل أجزاءه عضوا عضوا ويتضح ذلك في قوله:

دب في الفناء سفلاً وعلوا وأراني أموت عضوا فعضوا.

ذهبت شرطي وجدة نفسي وتذكرت طاعة الله نظموا.¹

فقد كان يظن أن الشباب دائم ولا يزول، كما اتهم شبابه بإيقاعه في المجون والفسق والفجور حيث يقول:

كان الشباب مطية الجهل ومحسن الضحكات والهزل.

كان الجمال إذا ارتدبت به ومشيت أحظر صيت النعل.²

إنها حياة عربية طائشة، صرفها "النواسي" في السكر وقضاها برفقة زمرة من المجان وبين الغناء والخمر، وانتهت ببوارق توبة صادقة بعد أن حطم السل البطيء خنجره³ وانحل الألم جسمه، وماتت أعضاؤه تاركا للأشقياء من الناس عبرة لمن يعتبر في قوله:

ما الناس إلا هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق.⁴

وجعل يودع دنياه بأشهر بيتين في قوله:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم.

إن كان لا يرجوك إلا محسن فبمن يلوذ ويستجير المجرم.⁵

وقد اختلفت الروايات في تاريخ وفاته، فقليل إنه توفي قبل "الأمين"، غير أن في ديوانه رثاء "للأمين" يشهد بأن وفاته لم يكن قبل "الأمين"، وذهب صاحب الفهرست إلى أنه توفي في الفتنة قبل قدوم "المأمون" من خراسان سنة المائتين.⁶

كما اختلف في سبب وفاته فقليل إنه توفي وفاة طبيعية، وقيل بل هجا "إسماعيل" بن نبيخت هجاء لا ذعا ذكر فيه أمه ورماه بالبخل قائلاً:

على خبز إسماعيل واقية البخل فقد حل في دار الأمان من الأكل.

وما خبز ه إلا كأوى يرى ابنه ولم يرأوى في حزون ولا سهل.⁷

فدس له في شرابه سما قتله بعد أربعة أشهر، وقيل بل دس له من ضربة حتى مات.⁸ وكانت وفاته في بغداد وله من العمر نحو الثامنة والخمسين سنة ودفن في مقابر الشونيزي في تل اليهود.⁹

13. آثاره:

إن كانت المؤلفات القديمة قد أهملت الحديث عن "أبي نواس" وتحاشى الرواة أشعاره مدفوعين بنزعات عنصرية ومذهبية ضيقة فغن علماء النهضة قد حاولوا جاهدين إنصاف

¹ أبو نواس، الديوان، ص 589.

² أبو نواس، المصدر السابق، ص 311.

³ جورج غريب، الموسوعة في الأدب العربي، ص 127.

⁴ أبو نواس، المصدر السابق، ص 394.

⁵ المصدر نفسه، ص 501.

⁶ محمد بن إسحاق النديم، الفهرست، أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم منقول من دستوره وبخطه، المقالة الرابعة في الشعراء، ج 4، ص 182.

⁷ أبو نواس، المصدر السابق، ص 171.

⁸ محمد عبد المنعم خفاجي، الآداب العربية في العصر العباسي، ص 226.

⁹ بطرس البستاني، أدباء العرب في العصر العباسية، ص 67.

الشاعر، وبعثه إلى الحياة الأدبية من جديد، فانكبوا على جمع أشعاره وعملوا على إبراز المنحول منها، وقد بدأت هذه المحاولة تحت إشراف المستشرقين، ثم سار على نهجهم تلامذة لهم في العالم العربي كأصحاب دائرة المعارف الإسلامية. والعلامة المجتهد "محسن الأمين" في الموسوعة الإسلامية الكبرى¹، وهؤلاء وسواهم من محققي التراث العربي الذين سعوا لرد الاعتبار لشاعرنا "أبي نواس" بعد أم طمس القدماء معالم شخصيته فأضاعوا ديوانه وبعثروه وحملوه شعرا منحولا ليس له. إلى أن جاء "اسكندر أضاف" فجمع الديوان وحققه وطبع سنة 1898م، و"محمود كامل فريد" سنة 1937م، و"زكي المحاسني" في دمشق 1938م، أما المستشرق "نولد كيه" فقد أثبتت دراسة له عالمية أبي نواس حيث فضله على الشاعر الألماني "هنريج هيني"². وتوالت طبعات الديوان في العديد من العواصم العربية على أن أشهرها مرتب على اثنا عشر بابا، فالباب الأول في نقائضه مع الشعراء وأخباره معهم ومع القيان، والباب الثاني في المديح، والباب الثالث في المراثي، والباب الرابع في العتاب، والباب الخامس في الهجاء، والباب السادس في الزهد، والباب السابع في الطرد، والباب الثامن في الخمر والباب التاسع فيما جاء بين الخمر والمجون، والباب العاشر في غزل المؤنث، والباب الحادي عشر في غزل المذكر، والباب الثاني عشر في المجون³، وقد لحق شعر "أبي نواس" ما لحقه معظم فحول العربية أقوال وأشعار منحولة مما يدل على أن الشاعر "النواسي" حظي باهتمام الناس والأدباء.

¹ خليل شرف الدين، الموسوعة الأدبية، مكتبة الهلال، 1987م، ج1، ص34.

² المرجع نفسه، ص ن.

³ أبو النواس، الديوان، ص05.

الفصل الثاني

صورة المرأة في شعر أبو نواس:

إن المتأمل في العصور الأدبية السابقة، والمتصفح لدواوين الشعراء عبر العصور يجد أن المرأة كانت محور حديثهم، ومناطق تكريمهم وتوقيرهم، كما كان بيدهم الحظ من مكانتها وتحقيرها وهجائها، لكن كان يغلب عليهم حبها وقدرتها على استحواد قلوبهم وعقولهم، فهي محبوبة في الشعر يتعذب الشاعر لهجرها وصددها ويحن إلى وصالها، ويفرح برضاها ولقائها، ليبوح لها بأحاسيسه ويبثها معاناته، ثم يتغزل بها ويصف جمالها بأجمل الأوصاف، وأدق المعاني، وأصدق التعابير، وأفضل ما تجود به قريحته، ومن الشعراء من يكون عفيفاً، ومنهم من يوغل في الحسية والتبذل والإباحية في وصفه وبوحه لعلاقته بالمرأة المحبوبة، فيشارك بذلك الجميع معه، وكأن الجميع كانوا مع علاقة معها، ومنهم من يتحدث عن علاقته بالمرأة بنوع من النرجسية الممجونة وآخر يصف حنينه إلى المرأة المحبوبة حنيناً روحياً يعبر عن ظمئه ولهفته وعشقه لها دون تصوير لتحقيق تلك الرغبة وإن كان راغباً في ذلك وهي ملهمة لهم تجعلهم يترجمون ذلك الحب وتلك الرغبة في وصالها بأجمل القصائد وأروع الأشعار، فهي وإن اختلفت صفاتها ملهمة، وإن كانت أما أو أختاً أو بنتاً أو زوجة أو حبيبة، فقد تبارى الشعراء في رسم صورة المرأة الجمالية، من حيث جمالها ووصفها كأنها تمثال تنافس الشعراء في نحته ونقشه.

قد حفلت صورة المرأة في العصر العباسي بصور متعددة، منها الأم الحزن الأول للشاعر، الحزن الدافئ المليء بالحب والحزن، الذي يعود إليه المرء خاضعاً طفلاً والبنات التي تمثل نور البيت، وحبيبة الأم، وصغيرة الأب، والزوجة التي تمثل المرأة والحبيبة والصديقة ورفيقة الدرب، وأم الأولاد، والجارية والخادمة في بعض الأحيان إذ تغيرت نظرة الشاعر للمرأة بعد أن انجلت عليها الشوائب التي كدرت الإسلام، وأفاحت المرأة من غفلتها وتعلمت ونالت حقوقها وفرضت وجودها، حيث صوراً بكثير من الصور مما جعلها محورا شعريا زاخرا بالدلالات.

فهي مادة خام يصنع منها كثير من النماذج والأشكال والألوان، كما تلعب الطبيعة دوراً في جعل المرأة تتغير من صورة إلى أخرى، فهي كالممثل الذي يتغير دوره بتغير السيناريو وتغير مجرى الأحداث.

ويختزل الشاعر "إبراهيم العلاف" هذه الصورة مجتمعة في قصيدة بعنوان «امرأة» قائلا:

أنت أسمى من الهوى المعتار أنت أم عظيمة المقـــــــــــــــــدار.

أنت نصف الحياة، بل ثلثيــــــــــــــــها وانبعثت الشريك للأوطار.

أنت وحي الفنون، أنت هداها أنت لطف مشوق الأسرار.

أنت مجلى أناقة وجمال أنت رمز السلام والإيثــــــــــــــــار.¹

فقد جعل من المرأة وعاء تحتوي بقلبها كل المشاعر والأحاسيس، وتغير دورها بما تقتضيه الحاجة والحياة، فيما يخص الأمومة والحياة والفن، وكاتمة الأسرار، وفيها كمال الجمال والأناقة، وترمز براءتها إلى السلام، نعم هذه هي صور المرأة لخصها "إبراهيم خليل" أجمل تلخيص.

1 إبراهيم خليل العلاف، المجموعة الشعرية الكامل، ط3، مطابع الصف، 1989م، ص92.

ولما للأُم من عظم الشأن وكبير القدر كانت ترد في كثير من قصائد الشعراء باعتبار أن المرأة بالإضافة إلى مكانتها العالية تزيد رفعة بأمومتها، أما البنت فهي الأخرى حضرت في كثير من دواوين الشعراء، خاصة بعد ما حرم الإسلام وأدها وأعطاها حقها في الحياة فرد بذلك لها اعتبارها وقيمتها، حيث كان للفرزدق ابنة ولأنها وحيدته خص لها الخدم والحشم يقومون بخدمتها، ويسهرون على رعايتها وأنها في البيت محصنة لا يراها الشباب، ولا يطمع السامرون في الحديث معها ليلاً، وهذا إنما يدل على ترتيبها حيث يقول:

ربيبية دأيات ثلاث ربيبتها يلقمنها من كل سخن ومبرد.
إذا انتبهت أطعمنها وسقيناها وإن أخذتها نعسة لم تسهد.
وثبت فلا الأتراب ترجو لقاءها ولا بيتها من سامر الحي موعد.¹

بينما يقل الحديث عن الزوجة في الشعر العباسي، وهي لا تحضر بصورة لافتة إلا بعد وفاتها، فيرثيها زوجها بقصائد يبث خلالها لواعج نفسه ويكيها، ويعرف ويقدر مكانتها التي لا يحل محلها شيء آخر، وربما يعود قلة الحديث عن الزوجة إلى الحياء والحشمة. أما المرأة الحبيبة فقد احتلت المكانة العالية في شعر الشعراء، فهي المرأة الوحيدة وبصورة الحبيبة التي كتبت فيها قصائد طوال تغزلا بها، ووصفا لمحاسنها ومفاتها وتعييرا عما تخلفه من عذاب وألم بعد الهجر والبعد، وما تشغله من نيران اللوعة واللهفة بوصالها. وصورة المرأة الجسد لم تكن بمعزى عن تعير الشعراء ووصفهم، فقد كانت مفاتن المرأة وجمال جسدها تلهب في الشعراء نار الإبداع، فيتغزلون بها ويصفونها، ويصنف الدارسون هذا النوع الشعر الذي يختص بالتعبير عن جسد المرأة بالغزل الفاحش الصريح، إذ قصر الشعراء حديثهم عن جمال المرأة وذكر محاسنها وتشبيهها بتشبيهات فيها القديم المعروف عند من سبقهم من الشعراء.

وبعد تصفحنا لديوان الشاعر "أبونواس" الذي هو موضوع الدراسة، نجد بأن ديوانه قسم إلى اثني عشرة باباً، خصص الباب الأول في نقائضه مع الشعراء وأخباره معهم ومع القيان، والباب الثاني خص في المديح، والباب الثالث في المراثي، أما الباب الرابع فقد كان في العتاب، والخامس في الهجاء، والسادس في الزهد، بينما الباب السابع فقد خصه للطرد، والثامن في الخمر، والباب التاسع فيما جاء بين الخمر والمجون، والباب العاشر في غزل المؤنث، والباب الحادي عشر في غزل المذكر، والثاني عشر في المجون.

وجاءت المرأة في شعر أبي نواس بصورة مختلفة، وتفاوتت نسبة الحضور من صورة إلى أخرى، غير أن أكثر هذه الصور حضوراً هي صورة المرأة الحبيبة، إذ بلغت عدد القصائد التي تناولت المرأة وتحدث عنها بغض النظر عن صفتها ما يقارب ثلاثة وثمانون قصيدة جاءت في أكثرها صورة للمرأة الحبيبة.

بينما صورة الأم نجدها غائبة في ديوانه، ويعود هذا ربما إلى موقفه من أمه التي كانت ذات سمعة سيئة، كذلك صورتني الزوجة والبنت نجدها غائبتين تماماً في شعره باعتباره لم يتزوج ولم يكن له لا بنين ولا بنين.

1- المرأة / الحبيبة:

¹ الفرزدق، الديوان، ص 93.

إن المتأمل في صورة المرأة الحبيبة في شعر أبي نواس يجدها في أغلبها صوراً تعادل الحب العذري، إذ تحضر المرأة في صورة فتاة عفيفة يتمنى الشاعر وصالها، غير أن نظرة العامة التي نحملها لأبي نواس تجعلنا نسيء الظن به فيما يخص تعيره وشعره في المرأة الحبيبة، باعتبار ما تفرضه طبيعة العصر العباسي من لهو وترف ومجون، إلا أن شعر أبي نواس في المرأة جاء بزي العفة بعيداً نوعاً ما عن ذلك الجو الذي انغمس فيه "النواسي" وغرق فيه.

فالحبيبة هي صورة المرأة التي يختارها الرجل لتكون روحه وقلبه ونصفه الثاني فالمرأة كتلة من الحب والحنان والرقّة والنعومة، فهي مكنى المشاعر والأحاسيس الرقيقة. وصورة المرأة الحبيبة معطى ثقافي، فهي لم تكن وليدة فكر أو نتاج معرفة جديدة، بل هي صورة تقليدية بدأت ملامحها على أيدي الشعراء منذ الجاهلية على اعتبار أن المرأة موجودة منذ القدم، وأن وجودها تزامن مع وجود الرجل وتبلورت صورتها وتطورت على أيدي الشعراء في مختلف العصور، وما زالت الأقلام الشاعرة تتربص بها حتى اليوم، إذ تمثل صورة المرأة الحبيبة المثل الأعلى الذي يحقق المتعة الروحية، فترضى النفس، وتستقر العاطفة، لأنها منبع الحب والسعادة، ومصدراً لكل الآمال، وطريقاً للتخلص من كل الآلام.

لذلك تبوّأت المرأة المكانة العالية في دنيا الحب، وأضحت رمزا للإنسانية ورمزا للإخاء المنشود في عالم مثالي يقوم على الصفاء والمودة والحب، فهي تمثل الطبيعة الزاخرة بكل الخيرات، والمسكن الذي يمثل ملجأ وملاذاً من قساوة الطبيعة ونكباتها وشكلا من أشكال الهروب من عالم العنف والقوة، إلى عالم الهدوء والضعف والاستسلام والحنين إلى عالم الطفولة والبراءة، باعتبار الحبيبة تمثل الطفل والأم معاً، فهي طفل بريء في طبيعتها وتدلّها، وأم محتضنة ترعى ذلك الطفل الذي يعود إلى حضنها ضعيفاً مهزوماً، فقد تجاوزت بهذا المرأة النطاق المادي المحسوس إلى نطاق السمو والظهر.

وقد عبر الشعراء عن هذه الحبيبة بأجمل المعاني، وأصدق التعبيرات، ولم يقف شاعرنا "أبونواس" حيادياً اتجاه هذا الملاك الذي نزل عليهم من السماء، فقد خصها بوافر من اهتمامه وكثيراً من قصائده، فقد عبر "أبونواس" عن المرأة الحبيبة كثيراً في ديوانه وكان كثير الحبيبات، فقد وقع "النواسي" في الحب والعشق والهيام مع كثير من النساء ولا نستطيع الجزم بأنه كان حبا حقيقياً صادقاً، نابع من قلبه، أم أنها مجرد نزوات عابرة ومشاعر زائدة، فقد أحب نساء وجاريات ومغنيات ومنهن «دنانير» التي وصف حبها بأنه نار، فقد وقع في لهيب نارين واحدة تلتهب بين ضلوعه، وأخرى تشتعل بين أحشائه محاولاً الصمت وكتم حبه لها، وعدم بوحه بهذا الحب الذي أقعده الفراش وأصابه داؤه، ويعتبرها زاهدة في حبه ترفض وصاله وفي هذا يقول:

الله مولى دنائير ومولاتي بينه مصبحي فيها
وممسائي

صليت من حبها نارين واحدة بين الضلوع، وأخرى بين
أحشائي.

وقد حميت لساني أن أبين به فما يعبر عني غير
إيمائي.

يا ويح أهلي أبلَى بين أعينهم ————— على فراش، وما يدرون مادائي.
لو كان زهدك في الدنيا كزهدك في ————— وصلي مشيت بلا شك على الماء.¹
وفي قصيدة «يا معشر العشاق» يخاطب أبونواس العشاق ويخبرهم بأنه ظفر بمن يحب
ويهو، وأنه ضم درة لا مثيل لها ولا يشاركه فيها أحد وأن نفسه امتلأت بها سرورا،
وأغرب بها عن الدنيا فيقول:

يا معشر العشاق! ما البشري؟ ————— قد ظفرت كفي بمن أهوى.
واصلني من بعد كم سيدي ————— كذاك أيضا لكم العقبي.
ضمت كفي على درة ————— لا شركة فيها، ولا
دعوى.

لما تملأت سرورا بها ————— أغربت عني سائر
الدنيا.²

ونجده في قصيدة بعنوان «حامل الهوى تعب» يورد صورة تلك الحبيبة اللاهية
الضاحكة، التاركة حبيبها يتعذب، وتتمتع بسقمه وهذا ما أدى به إلى الشكوى من تعب هذا
الهوى:

حامل الهوى تعب ————— يستخفه
الطرب.
تضحك ————— كين لاهية
ينتحب.
تعجيب ————— من سقمي
كل ————— ما انقضى سبب
سبب.³

وفي قوله:

أتاني عنك سبك لي فسبي ————— أليس جرى بفيك اسمي، فحسبي.
وقولي ما بدالك أن تقول لي ————— فمما ذا كـ —————
إلا لحبيبي.
قصاراك الرجوع الى وصالي ————— فما ترجي ————— من تعذيب
قلبي؟⁴

فالشاعر يحاور هذه المرأة التي يعتبرها حبيبته، لأنها وبسبب حبها له تسبه وقد وصله
سبها ويقول لها بأنه لا جدوى من تعذيب قلبه فإن مرجعها إليه.
كما يطلب "أبونواس" من حبيبته «جنان» وهي في مأتم كالقمر تبكي، ألا تذرف
الدموع على ميت فارق الحياة ودفن، بل تبكي على قتيل حي وقد جاءت صورة حبيبته

¹ أبونواس، الديوان، شرحه وضبطه وقدم له علي فاعور، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م، ص22.

² المصدر نفسه، ص30.

³ المصدر نفسه، ص47.

⁴ أبونواس، الديوان، ص49.

الفصل الثاني نواس

صورة المرأة في شعر أبي

ويشبه الشاعر حبيبته بالبدر، فهي صورة جميلة للحبيبة حيث يحبها الشاعر وهي امرأة شاطرة أصابت قلبه، وهي في الحسن كولد الطيبة، يزيد صدرها جمالا موضع القلادة المكشوف للعيان وفي هذا يقول الشاعر في قصيدة عنوانها « غائب في الحب »:

من غائب في الحب لم يؤب لا شيء يرقبه سوى العطب .
من حب شاطره رمت غرضا قلبي، فمن ذا قال لم تصب؟
البدر أشبه ما رأيته بها حين استوى، وبدا من الحجب.

وابن الرشاشا لم يخطها شبها بالجيد والعينين
واللبب¹.

وفي قصيدته « متى الفرغ » التي يقول فيها:
جفن عيني قد كاد يس قط من طول ما اختلج .
وفؤادي من حر حب لك والهجر
قد نضج.

خبريني، قد تك نف سي وأهلي،
متى الفرغ.
كان ميعادنا خرو ج زياد،
وقد خرج.

أنت من قتل عائد بك في أضيق
الخرج².

"فأبونواس" يخاطب بهذه الأبيات « جنان » حبيبته وقد وعدته بزيارة يوم سفر "زياد" أخو مولاتها، فسافر زياد ولم تف بوعداها، وفؤاده من حر حبها وهجرها قد نضج. وتدفع الحبيبة الحبيب إلى الشكوى والبوح بما يخالجه من «جنان» وحلاوة عينيها، وأن حبها فضيحة بين الناس، ويشير إلى أن ذنبها أنه وقع في حبها كما يبرئها من الذنب في الوقت نفسه في قوله:

يا صاح أشكو حلاوة العي نين جائلة
الوشاح.

فيها افتضحت، وحبها في الناس يسعى
بافتضاحي.

«ولها ولا ذنب لها لحظ كأطراف
الرماح.

في القلب يجرح دائما فالقلب مجروح
النواحي».

أجنان جارية المهذ ب، بالفضائل
والسماح³.

¹ المصدر نفسه، ص 66.

² أبونواس، الديوان، ص 117.

³ المصدر نفسه، ص 136.

ويواصل "أبونواس" في تصوير حبيبته "جنان" جارية آل عبد الوهاب الثقفي، وكان يهواها ويهيم في حبها، فقد ذكرها مرارا في قصائده، وقد أورد صورة الحبيبة في الأبيات التالية وهي متجردة من ثيابها، تأل الناس ما فيها من محاسن ومفاتن فصورة هذه الحبيبة أشبعت كثيرا من رغبات وشهوات الناس وخاصة منهم شاعرنا الذي انبهر لما رأى :

وذات خـذ مـورد
فتـانـة المتجـرد.
تأمل الناس فيها
محاسنها ليس تنفـد.
الحسن في كل جزء
مـعـاد مردد.
فبعـضه في انتهاء
وبـعضه يتـولد.
وكلمـا عدت فيه
يكـون
بالعـود أحمد.¹

وفي قصيدة أخرى يحاور "أبونواس" قائلة بأن قلبه قد عاج بهجر "جنان" ويظن بأنه قد أساء إليها بحبه لها وأن حبه ثابت ويزيد، وهذه صورة جميلة لحبيبة أحبها الشاعر من كل قلبه، فيقول في هذه الأبيات التي تنطوي تحت عنوان « وقائلة لي: كيف كنت تريد »:

وقائلة لي: كيف كنت؟
يكون حسود.
لقد عاجلت قلبي جنان بهجرها
وقد كان يكفيني بـذاك
وعيد.
لعل جنـانا ساءها أن أحبها
ثـابت ويزيد.²

وفي موضع آخر نجد صورة المرأة الحبيبة عبارة عن جدل بين الحبيب وحبيبته جدل يمكن القول عنه أنه مضحك ومسلّي، وهذا الجدل يتمثل في كلام يكتب على فص خاتم كان هذا الأخير عبارة عن وسيلة لكتابة رسائل بينهما، لكن هذه الرسائل كانت تكتب وتمحى وذلك في قوله:

كتبت على فص لخاتمها:
فلا رقدا.
فكتبت في فص ليبلغها:
يـعـقل كـمن سـهـدا.
فمحتة، ثم اكتتبت: ليبلغني:
يـهـوى ولا هـجدا.
من مل محبوبا،
من نام لم
لا نام مـن

¹ المصدر نفسه، ص 163.

² أبونواس، الديوان، ص 164.

فمحوته، ثم اكتببت : أنا واالله، أول مـيـتـت
كمـدا .

فمحوته، واكتببت تعارضني: واالله ! لا
كلمة ك أبـدا¹.

وفي الأبيات التالية الذكر يصور لنا "أبونواس" صورة الحبيبة وهي تهجره وتتمادى في هجره، حتى تمنى لو أنه يتغير ويصبح إنسانا بوجه آخر لربما تحبه وترضى وصاله حيث يقول:

وقصرية أبصـرتـها، فهويتـها هوى عروة العذري والعاشق
النجـدي.

فلما تـمادى هجرها، قلت: واصلي فقالت: بهذا الوجه ترجوا الهوى عندي؟
فقلت لها: لوكان في السوق أوجه تباع بنقد حاضر،
وسـوى نقد.

لغيرت وجهي، واشتريت مكانه لعلك أن تهـوى وصالي
من بعد².

وفي قصيدته « جودي علي بوعد » التي يقول فيها:
أيـا مـلـيـن الحـديـد
لـجـبـده داود .

ألـن فـؤاد جنـان
لـعـاشـق مـعمود.

قد صـارت النفس منه بـيـن
الحـشـا والـوـريد.

جنـان جـودي، وإن عز لك الهـوى
أن تجـودي.

ألا اقـتـلـيـني، ففـي ذا ك
راحـة للـعـمـيد³.

فالشاعر يريد بهذه الأبيات أن صورة جنان الحبيبة دائما تأتي بصورة الصد والرفض بحيث يطلب منها أن تلين فؤادها، وتشفق على حال محب، كادت روحه تفارقه من فرط هيامه بها، كما يرجى منها أن تقتله أرحم له وأهون من هذا العذاب فالموت راحة لهذا العميد الشديد الحزن الذي هذه الشوق.

ويصور لنا "أبونواس" صورة الحبيبة وهي عروس، فمن المعلوم أن صورة العروس هي أجمل وأبهى صورة تتحلى بها المرأة يوم زفافها، وهي الأجمل بين الحاضرين غير أن جنانا حضرت حفل زفاف فحسبوها هي العروس، وقد انصرفت أنظار الحاضرين عن العروس وصبوا كل اهتمامهم ونظرهم على جنان حيث يقول الشاعر المحب العاشق:
شهدت جلوس العروس جنانا فاستمالت بحسنها النظـارة.

¹ المصدر نفسه، ص 165.

² المصدر نفسه، ص ن.

³ أبونواس، الديوان، ص ص، 165، 166.

حسبوا العروس حين رأوها ٢٢٢ فإليها دون العروس الإشارة.
قال أهل العروس حين رأوها ٢٢٢ مادهانا بها ســـــوى
عمارة.¹

ونجد الشاعر في قصيدته « طفلة كالغزال » يغير صورة حبيبته ليصورها في صورة طفلة صغيرة لينة، يشبهها بالغزال وأنها ذات دلال وتشعل الفتنة في قلبه إذا وضعت النقاب أو أسفرت الحجاب عن وجهها، فهي في كلا الصورتين تعذبه وأنه يرجى منها عدم المماطلة والتسوية بوعده الوفاء:

طفلة كالغزال ذات دلال ٢٢٢ فتنة في النقاب
والإسفار.

أتمنى، وما بكفي منها ٢٢٢ غير مطلل وغير سوء
انتظار.²

عانى "أبونواس" كثيرا من صد الحبيبات وهجرانهن وجفائهن، حتى بلغ الأمر به إلى الجلوس في خلوة من أمره، يدعوا إبليس ويخبره وهو داعم العينين عما ابتلي من جفاء هذا الحبيب، ويطلب منه أن يوقد في صدر حبيبه المودة فهو على ذلك مقتدر، فدائما صورة الحبيبة عند "أبي نواس" ترد بصورة الجفاء والهجر والبعد فيقول:

لما جفاني الحبيب، وامتنعت ٢٢٢ عني الرسائل منه والخيـــــر.
اشتد شوقي، فكاد يقتلني ٢٢٢ ذكر حبيبي، والهم
والفكـــــر.

دعوت إبليس، ثم قلت لـــــه ٢٢٢ في خلوة، والدمـــــوع
تنهمـــــر.

أما ترى كيف قد بليت، وقد ٢٢٢ أفرح جفني البكاء والسهر.
إن أنت لم تلق لي المودة في ٢٢٢ صدر حبيبي، وأنت مقتدر.³
وجاء في قصيدته « هجر ك السم الزعاف » التي يقول فيها:

فديتك ليس لي عنك انصراف ٢٢٢ ولا لي في الهوى منك انتصاف.
وصالك عندي الشهد المصفي ٢٢٢ وهجـــــرك عندي السم الزعاف.⁴

حيث يصور الشاعر في هذين البيتين عدم قدرته على البعد والهجر عن هذه الحبيبة التي جاءت في صورة العسل المصفي الذي شبهت به وهو على هجرها كأنه تناول السم القاتل ولا هو في الهوى استقى حقه كاملا من وصالها ورضاها به.

كما يصور "أبو نواس" صورة حبيبته « معشوق » في قصيدة عنوانها « صباح الخير يا معشوق » حين تصبح على وجهها في كل شروق الشمس، وهي مرتدية القرطق؛ أي القباء وأشار إلى بقاءه على رأسها ولم يسقطه الريح وذلك في قوله:

لقد صبحت بالخير عين تصبحت ٢٢٢ بوجهك يا معشوق في كل شـــــارق.

¹ المصدر نفسه، ص233.

² المصدر نفسه، ص234.

³ أبو نواس الديوان ، ص242.

⁴ المصدر نفسه، ص355.

مقرطقة لم يحنها سحب ذيلها ولا نازعتها الريح فضل
البنائق.

تشارك في الصنع النساء، وسلمت لهن صنوف الحلي، غير المناطق¹.
وفي قصيدة أخرى "لأبي نواس" نجده يورد صورة المرأة الحبيبة على أنها العسل وما
أحلى من العسل؟!، بحيث أعجب بامرأة اسمها «حسن» وذكر محاسنها، فهو يحدث الناس
بما جهلوا من حسن وجمال "حسن" حيث يقول في الأبيات المعنونة بـ: «ما أحلاك يا
عسل!»:

إني وذكرني من حسن محاسنها مثل الذي قال: ما أحلاك يا عسل!
أحدث الناس أني قد وقعت لهم من وجه حسن على الأمر الذي جهلوا.
قد اكتفى الناس من علمي بعلمهم فالفرد مني عليهم علمهم
نقل².

ولا يتعد "أبونواس" عن حبيبته «جنان» أبداً، فهو وإن أحب أو صور صوراً لحبيبات
أخريات، فإن مرجعه ومرده دائماً إلى جنان التي يأمل منها أن تجود عليه بما يتمنى، وبذلك
تفرح السماء لفرحه ولا تقطر دماً كما يقطر قلبه حيث يقول:

جنان إن جدت يا مناي بما أمل لم تقطر السماء دماً.
وإن تماديت، ولا تماديت في منعك، أصبح بقفـره رمما³.
ويصور في موضع آخر صورة «جنان» وهي ظالمة له، اضعف حبه لها جسده حتى
أصبح كالشبح:

جنان أضني جسدي حبكم فليس إلا شبح قائم.
وليس لي جيب قميص: ولا يثبت في خنصري الخاتم.
إن لم يكن ما قلته هكـذا إني اذن يا ظالمي ظالم⁴.
لا يغيب خيال وطيف الحبيبة عن أي شاعر، فهذا الخيال يراه في نومه وصحته
وخاصة عندما يسدل الليل خيوطه، ويصبح الظلام لباساً، تصبح الأخيلة والأطياف تحوم
حول الشاعر كالأشباح، ولأبي نواس قصيدة بعنوان «الطيف الزائر» يتحدث عن هذا
الطيف فيقول:

يا ريم! هات الدواة والقلم أكتب شوقي الى الذي ظلما.
أظـل يقظان من تذكـره حتى إذا نمت كان لي حلما⁵.
فهو لا ينام ولا يزور النوم جفناه من تذكر الحبيبة، فهو يطلب من "ريم" أن تعطيه أدوات
الكتابة كي يكتب أشواقه، وإذا غفت به عينه جاءه خيال الحبيبة في المنام.
وهذا أمر تطرق إليه الكثير من الشعراء، فما هو الفرزدق يتمنى أن يأتيه خيال «عُلية»
وأن بعدها عنه لا يحبس الليل عن أن يعيد خيالها في قوله:
ألا ليت حظي من عُلية أنني إذا نمت لا يسري إلي خيالها.

¹ المصدر نفسه ، ص 375.

² أبونواس، الديوان ، ص429.

³ المصدر نفسه ، ص477.

⁴ المصدر نفسه، ص 481.

⁵ المصدر نفسه، ص487.

ولا يلبث الليل الموكل دونها xxx عليه بتكرار الليالي زوالها.¹
وصور الشاعر صورة الحبيبة على أنها أمنية يتمناها من دنياه، فهو يأمل في الدنيا أن
تمنحه امرأة شابة تكون له كالشمس تشرق بنورها على عالمه، ومسك ودره، أي أن يرى
فيها كل ثمين وجميل وأنه يحلف بالله على حبها فيقول:
مناي من الدنيا العريضة خودة xxx وتلك مناها في الفضاء سدوم.
هي الشمس اشراقا، ودره غائص xxx ومسكة عطار تصان، وريم .
حلفت لها بالله أني أحبها xxx وما كل حلاف لهن
أثيم.²

وفي الأبيات التالية المعنونة بـ « يا قرة العينين » :
إذ التقى في النوم طيفانا xxx عاد لنا الوصل
كما كانا .
يا قرة العينين، ما بالنا xxx نشقى،
ويلتذخي لانا .
لوشئت، إذ أحسنت لي في الكرى xxx أتممت إحسانك
يقضانا.³

فهو يصور قرة عينه تأتيه في المنام، وهي خياليين وطيفين يلتقيان النوم، وهو يطلب منها
وصالها في اليقظة كما في المنام.
كما يأتي طيف الحبيبة « جنان » في نوم الشاعر كي يصلحه بعد اختلاف بينهما لكنه
يتمنى الصلح في اليقظة لا في المنام، حتى إن طيفه لم يفرح لطيفها ولم يبادل الصلح حيث
يقول:

دست له طيفها كيما تصالحه xxx في النوم حين تأبى الصلح يقظانا .
فلم يجد عند طيفي طيفها فرحا xxx ولا رثى لتشكيه، ولا
لانا .

جنان لا تسألني الصلح مسرعة xxx فلم يكن هينا منك الذي كانا.⁴
فقد تعددت صور الحبيبة عند " أبي نواس"، فها هو يجعلها في صورة العارفة العالمة
بحاله، فهي التي شغلت نفسه حيث يقول:
من كان يجهل ما بي xxx فأنت
لا تجهلينا .
عنان يا شغل نفسي xxx يا أحسن
العالميننا.⁵

ويصور الشاعر أيضا الحبيبة « عنان» بأنها من الحسن والجمال تركت الناس جميعا
مجانينا فيقول:

¹ الفرزدق، الديوان، ص318.

² المصدر نفسه، ص489.

³ المصدر نفسه، ص529.

⁴ أبونواس، الديوان، ص533.

⁵ أبونواس، الديوان، ص538.

عنان يا من تشبهه العينا xxx أنتم على الحب
تلومونا.

حسنك حسن لا أرى مثله xxx قد ترك الناس
مجانينا¹.

وكثيرات من حبيبات "النواسي"، ولكثرتهن اختلفت صور ورودهن في أشعارهن فقد
صور «مكنون» وهو يقول لها بأنها الحب العظيم وأنه يقتل ويصرع ويصيب بالجنون،
وهو يطلب منها أن تجود عليه بحبها فيقول:

مكنون: سيدتي جودي لمحزون xxx متيم بأليف الحب، مقرون.
قالت: جننت على رأي، فقلت لها xxx الحب أعظم مما بالمجانين.

الحب ليس يفوق الدهر صاحبه xxx وإنما يصرع المجنون في الحين.²
كما اختزل "أبونواس" صورة الحبيبة في الشمس، فهو صورها كالشمس في الأفق حين
تلوح بضوئها تتي الديار والطرق، وأنه شبه الشمس ونورها بحبيبته فجعلها مثلاً يضرب
للنور والإشراق فيقول:

لما رأيت محل الشمس في الأفق xxx وضوؤها شامل والطرق.
صيرتها للتي أحببتها مثلاً xxx إذ لا ينالها شيء من الحق.³

كما يتفق "المتنبي" مع "النواسي" في تشبيه المرأة بالشمس، لأنه لا يوجد شيء آخر
يمكن التمثيل به والتشبيه لنور الحبيبة في النور والإشراق كالشمس فيقول:
كانها الشمس يعيي كف قابضة xxx شعاعها ويراه الطرف مقرباً.⁴

وفي قصيدته «أيا من سار منطلقاً» صور المرأة في صورة الخير والشر، فهي من زود
مقلتيه أرقاً، وحسبت نفسها خير من يعشق وهو شر من عشق فيقول:

أيا من سار منطلقاً xxx وزود مقلتي الأرقاً.
كأنك خير معشوق xxx يراني شر من عشقا.

وقالوا: من عشقت؟ فقل xxx ت: خير وشر من عشقا.⁵

ونستطيع القول بأن أغلب أشعار "النواسي" كانت حول الحبيبة واحدة، أحبها حتى
الحب وعشقها وتمنى وصالها وهي «جنان» أما باقي الحبيبات فكن مجرد نزوات عابرة
ومحطات مر بها "النواسي" في مشوار حبه.

كذلك المرأة الحبيبة وإن جاءت في صور كثيرة، إلا أن هذه الحبيبة لم تبادل الحب ولم
تشبع ميله الفطري إلى الأنثى، ربما نفورا مما علمته من سلوكه الشاذ.

لدى نجد أن الخمرة قد أحلت محل المرأة عند "أبي نواس" فلم تعد الخمرة تشكل لديه
مجرد ذلك الشراب الذي يمنح الشاربين الإحساس بالبهجة والمتعة، بل تحولت إلى ذلك
الكائن الحي الذي لا يستطيع الانفصال عنه، أو بالأحرى إلى شقيقة الروح التي ذكرها

¹ المصدر نفسه، ص ن.

² المصدر نفسه، 538.

³ المصدر السابق، ص 376.

⁴ المتنبي، الديوان، ص 66.

⁵ أبونواس، الديوان، ص ص 376، 377.

صراحة في بيت، فمثلت إذن هي البديل والمعوض عن المرأة التي كانت بعيدة المنال فيقول:

عاذلي في المدام غير نصيح لا تلمني على شقيقة روعي .
لا تلمني على التي فتنتني وأرتني القبيح غيــــــــــــــــر
قبيح.¹

كما تجلى لنا في موضع آخر تمثيل خمرة " أبي نواس " للمرأة بصورتها الحبيبة، حين وصف الشاعر عطفه عليها وتعلقه بها، وعدم تمكنه من فصل وجوده عن وجودها قائلاً:
تلك إلا أعد منيها الله ، أنسي عدل روعي.

يجنح القلب إليها في الهوى أي جنوح.
عطفت نفسي عليها بهوى غيــــــــــــــــر
نزوح.²

فالكلمات السابقة التي وردت في الأبيات مثل « هوى » و« شقيقة الروح » برهنت بصورة واضحة على أن العلاقة الخاصة التي تربط الشاعر بالخمرة كما لو أنها امرأة حقيقية.

2- المرأة / الساقية:

فرضت طبيعة العصر العباسي، نمطا من العيش ونوعا من الترف والبذخ، خصت هذا العصر دون غيره، فأدى إلى انفتاح أبواب المجون والفسوق، فكثرت دور المتعة واللهو وانتشرت الخمارات والحانات، التي زينت بألوان وأشكال من الجواني والنساء اللواتي يقمن على خدمة الحاضرين من أمراء ووزراء وشعراء، وحتى من رجال العامة باعتبار تلك الأماكن متاحة لقضاء حجات بعينها وليست متاحة لهذا ومقصورة على ذاك.

وكانت النساء والجواني يسقين الرجال الخمر، وكانت الخمر بالإضافة إلى لذتها تزداد لذة من أيديهن، وإن كانت عذبة لذيذة تصبح أكثر لذة وعذوبة وكأنهن أضفن لمسة سحرية أو تعويذة على تلك الخمور وتلك التعويذة تتمثل في حسنهن وجمالهن وعذوبة أحاديثهن، وها هو "أبونواس" شاعر الخمرة امتلأ كأسه بالأسماء والصور لجاريات وغلاميات وساقيات يملأن الدنان والأباريق ويسقين من عيونهن وأيديهن خمورا صافيات كالعقيق، هذه الساقيات كلازمات طبيعيات للوصف الخمرى .

فهو يصف ساقية تسقيه مع طلوع الفجر بكأسين وهي ظبية حوراء، وأصابها كأنها مصنوعة من الفضة، زينت أظافرها وخضبته بالحناء، ذات حسن وبهاء وجمالها يكن في أرفافها وضمور خصرها، وفراغ بطنها وفي هذا يقول:

قد سقتني، والصبح قد فتق اللي ل بكأسين ، ظبية حوراء.

¹ المصدر السابق ، ص124.

² المصدر نفسه، ص135..

عن بنان كأنه قضب الفضل ————
أطرافها الحناء.
ذات حسن تسجي بأردافها الأز ————
قد طوى بطنها، على سعة العيب ————
كما تجتمع النساء ساقيات الخمر في كشوخ، وهي أماكن يجتمع فيها الرجال والنساء
لريبة أو فعل سوء، وأي ساقيات يجتمع فيهن حسن القد، والأدب وحسن تملص من
الشباب، ولا يعرف منهن صدق ولا كذب، ولا ينال منهن الشباب إلا الرقص والصد وهذا
ما جاء في قصيدة لشاعرنا بعنوان «لم أقض منها ولا من حبها أربي» :
من كف ساقية، ناهيك ساقية ————
كانت لرب قيان ذي مغالبة ————
مكتسب.
فقد رأت ووعت عنهن، واختلفت ————
بالكتب.
وجمشت بجفي اللحظ، فابجمشت ————
تلك التي لوخلت من عين قيمها ————
والخمرة لذيدة في نظر الشاعر وهي متعة كبيرة لا يدعها تفوته، وليزيد من لذة الخمر
تلك الساقية الجارية التي تسقي الخمر من عينيها ويديها وفمها...، فصورة المرأة الساقية
وردت بكثرة في خمريات "أبي نواس" وبصور مختلفة، فالساقيات الجميلات الممشوقات
القد، الطويلات القائمة تزدن من فرص التمتع بالمجلس والتلذذ بالخمر، فهذه الأخيرة تمثل
للشاعر ياقوته موضوعة في الكأس كاللؤلؤة فتضيف لها الجارية الساقية لمعانا وبريقا في
قول "أبي نواس":
فالخمر ياقوته، والكأس لؤلؤة ————
القد.
تسقيك من عينا خمر، ومن يدها ————
بـد.
لي نشوتان، وللندمان واحدة ————
وحدي.³
ويؤكد أبونواس أن الخمر لا تشرب، ولا يتمتع بلذتها إلا على يد ساقية حوراء تسمو
بجمالها وحسنها كأنها القمر الساري، حيث تسقيه الخمرة من بين كفيها وهي داهية ذكية
لذيدة بلذة الخمر التي يأكل معها العسل فيقول:
لاسيما عندي هـودية ————
القمر الساري.
تسقيك من كف لها رطبة ————
جمار.¹

¹ أبونواس، الديوان، ص22.

² أبونواس، الديوان، ص39.

³ المصدر نفسه، ص149.

فهو لا يفرق بين يهودية أو عربية أو أعجمية، المهم أنها ساقية تسقيه من كل اللذات. وتتغير صورة المرأة الساقية بتغير مكان احتساء الخمر، وباختلاف المرأة نفسها لكن الذي لا اختلاف فيه هو حسنها وجمالها ولطافتها، فهي تسقي الخمرة من كفها، لابسة القرطق؛ أي القباء بالإضافة إلى مشيتها التي تمشيها وهي تتمايل في قول الشاعر:

من كف ساقية مقرطقة ناهيك من حسن، ومن ظرف.

نظرت بعيني جـوذـر خرق وتلفتت بسـوالف الخشف .
قالت، وقد جعلت تتمايل لي كتمايل الماشي على الدف.²
وفي صورة أخرى، يجعل من الساقية غزالا فهو يصف الساقية وكأنها غزال، وهذا دليل على رشاقتها من جهة ، ومن جهة أخرى يرمز إليها بحور عينيها فهذه الساقية حوراء العينين فيقول:

وأشرب سلافا كعين الديك، صافية من كف ساقية كالريـم،
حوراء.³

فالجـمال موجود في كل مكان، وحفلت دور الخمر بنصف هذا الجمال؛ جمال الخمرة وجمال المرأة.

3- المرأة الأم:

هي الصدر الحنون الدافئ المليء بالحب، هي الساهرة التي لا تنام، هي العطوفة والودودة، هي السند في الشدائد والصدر الحامي في المصائب، هي الناصح والمرشد، هي العامل الذي لا يكل ولا يتعب بدون أجره، هي النعمة الأكبر والأسمى لكل ابن، هي التي لا تنتظر شكرا ولا مقابلا فتعطي بلا حدود، ولا تضع لحبها وحنانها قيود، هي الأم أعظم كائن في الوجود.

وللأم في الحياة دور كبير، إلا أن حضورها قليل جدا في شعر "أبي نواس"، وربما هذا راجع إلى صلته بأمه التي كانت سيئة السمعة، فلم نجد صورة الأم في ديوانه متوفرة بالصورة التي كنا نأمل أن نجدها.

وباعتبار "أبونواس" وحيد أمه، فإنه يطلب من حبيبته ألا تقتله ولا تفجع أمه بوحيدها حيث يقول:

الله فـي قـتلي، معذبتي لا تقتلي في غير ما جـرم.
لا تفجعي أمي بواحدـها لن تخلفي مثلي على أمي!⁴

فهو يرجى من هذه الحبيبة ألا تقتله لأن الأم هي أول من يفجع وينفطر قلبها عند إصابة ولدها بمكروه، "فأبونواس" وحيد أمه لذلك يطلب من حبيبته ألا تقتله لأن أمه لن ترضى بغيره، وأن أحدا لا يحل محله.

¹ المصدر نفسه، ص208.

² أبونواس، الديوان ، ص482.

³ المصدر نفسه ، ص504.

⁴ المصدر نفسه، ص482.

كما تحدث عن الأم في موضع آخر في حديثه عن الكرم، فهو في هذه الأبيات التالية تكلم عن نوع من الطيور ولكنه قصد الإنسان، حيث يريد القول بأن الولد الكريم إنما يرجع كرمه إلى أمه الكريمة، وأن أمه هي التي تحميه وتعطف عليه وتضمه إلى حضنها خوفاً عليه فيقول:

وقانص أخفى به من أمه لو يستطيع قاتله بلحمه.

يقيه من بـرد بكـمـه توعية الأم ابنها في ضمه.¹

وهو الشيء نفسه الذي يشير إليه الفرزدق، فقد تكلم هو الآخر عن الكرم بأنه أكثر الصفات الحميدة التي يتصف بها الناس، ومن أهمهم الأم فالأم الكريمة هي أفضل الأمهات وهذا الكرم سواء في الحنان أو الحب أو العطاء، والأم الكريمة تربي أبناءها على الكرم في قوله:

أعز كأن البدر تحت ثيابه كريم إلى الأم الكريمة والأب.²

وفي قصيدة أخرى يهجو "الفرزدق" عمر بن عفراء الضبي"، ويحثه على عدم رمي أمه وأن لا يلوثها بالتراب، وأن علاقته بأمه علاقة قوية منذ كان جنيناً في بطنها، وأن الضرر الذي يلحق بها يلحق به، وأن خوفها على ابنها من خوفها على نفسها، وأنه مربوط بها في رحمها بالسلا وهي جلدة يكون بها الولد في بطن أمه، وإذا انقطع في البطن هلك الأم والولد وفي ذلك يقول:

نهيت ابن عفرا أن يعفر أمه كعفر السلا إذ عفرتة ثغالبه.³

كما قال "الفرزدق" هاجيا "ابن حازم السلمي"، وكانت أمه سوداء واسمها "عجلى" فقد تضمن الهجاء هجائين: أحدهما خاص به والآخر يتعلق بأمه ولون بشرتها واسمها، فقد كان الشعراء دائم الهجاء بالأم وصفتها سواء حرة أم أمة، أو بلونها أو اسمها أو انتمائها إلى قبيلة ما، أو بعملها كما هو الحال مع أم "أبي نواس"، فقد هجعت «جنان» وعابرتة بأمه حيث يقول "الفرزدق":

عضت سيوف تميم حين أغضبها رأس ابن عجلى فأضحى رأسه شذبا.

كانت سليم به رأساً فقد عثرت بها الجدود وصارت
بعده ذنباً.⁴

وهذا يعود إلى قيمة الأم ومنزلتها الرفيعة عند الشعراء، فالأم لا تتغير عبر العصور تبقى هي الأم الحنون وأعظم كائن أو جده الله بين خلقه، إنما ما يتغير هو النظرة إليها. حيث لم نجد الأم كثيرة الورد في شعر "أبي نواس"، وهذا راجع إلى عقدته من الأم التي تشكلت لديه حيالها عقدة أديب، بفعل تماسه معها والتصاقه بها منذ طفولته دون الأب المفقود وحرمت عليه بناء على ما تفرضه الأحكام الدينية والأخلاقية والاجتماعية، هذا بالإضافة إلى انصرافها عن خصه بمفرده بالحب والحنان بعد زواجها من رجل آخر غير أبيه.

¹ أبونواس، الديوان، ص504.

² الفرزدق، الديوان، ص27.

³ المصدر نفسه، ص29.

⁴ الفرزدق، الديوان، ص55.

وكان لأم "أبي نواس" دورها في إقباله الخاص على الخمرة معوضا بها عن الحنان المفقود، كما دفعته إلى إقباله على الذكور دون الإناث اللائي وجد في كل منهن صورة لأمه الخائنة التي دلت بزواجها على تخليها عن ابنها، وإيثارها عليه رجلا آخر وبذلك يقول معبرا عن تخوفه من غدر جارية بالرغم من حبه لها، وتوقه لها :

إني لأهواك، وإنني جبان أفارق من علمي بغدر
القيان.¹

فالأم من شأنها أن تجعل ابنها سعيدا، كما من شأنها أن تجعله تعيسا بانسا طول حياته فاقدا للثقة في الجنس الآخر.

4- المرأة / الأخلاق:

عرفت الأخلاق بأنها قيم تعرف عليها الإنسان باعتبارها جالبة للخير وطاردة للشر وتعتبر الأخلاق شكلا من أشكال الوحي الإنساني، كما تعتبر مجموعة من القيم والمبادئ التي تحرك الأشخاص والشعوب عبر العصور، وهي السجايا والطباع والأحوال الباطنة التي تدرك بالبصيرة والغريزة وبالعكس يمكن اعتبار الخلق الحسن من أعمال القلوب وصفحاته، وأعمال القلوب تختص بعمل القلب بينما الخلق يكون قلبيا وفي الظاهر.

والأخلاق صفة راسخة في النفس تدعوها إلى فعل الخير أو الشر كما لا تقتصر الأخلاق على الرجل أو المرأة، ومن الأشياء التي تلفت انتباه الرجل إلى المرأة تأدبها وتخلقها، ومثل هذه الصفات إذا وجدت عند المرأة جعلتها جميلة حتى وإن كانت عكس ذلك، فالجمال هو جمال الروح والأخلاق، لهذا تكلم الشعراء عن المرأة وخلقها فهي لا تعيش ولا يكون لها وجود بمعزل عنها، فهي هويتها وموروثها وأصالتها...، وقد صور "أبي نواس" خلق المرأة بأنه زاد من ملاحظتها وأنه تمنى أن يكون مثل خلقها حيث يقول:

لا، بل لها خلق منيت به، وملاحة عجب من العجب.²

كما هام الشاعر بالمرأة متحجبة فتنت قلبه، وأن وجهها ازداد حسنا بالنقاب الذي تستتر به، فيقول في قصيدة بعنوان «ما هوى إلا له سبب» :

فتنت قلبي محجبة وجهها بالحسن منتقب.³

ولم تتجرد المرأة يوما من الأخلاق والعفة والطهارة، كما لم ينكر الشعراء تزيينها بالحياء والخجل، فالمتنبي كغيره من الشعراء تناول هذا الجانب من المرأة، فهو في هذا البيت ينسى كل شيء لكنه لا ينسى عتابا على الهجر، وهذا ما يخجل الحبيبة وما يزيد من حمرة خدها تعبيراً على شدة حيائها فيقول:

نسيت وما أنسى عتابا على الصد ولا خفرا زادت به حمرة الخد.⁴

وباختلاف العصور تبقى الأخلاق زينة المرأة تتزين وتتنابها بها، وهذا ما يؤكد أيضا جرير على أن صورة المرأة الجميلة تزداد جمالا بالأخلاق والصفات الحميدة، فالمرأة التي تتصف بالهدوء والسكينة والوقار تكون أكبر شأنا وأعلى مقدارا، وهذا ما وجدته جرير في زوجته «خالدة» فلقد كُسيَت أجمل منظر بالسكينة مع جمالها وحسنها فيقول:

¹ أبونواس، الديوان، ص538.

² أبونواس، الديوان، ص67.

³ المصدر نفسه، ص48.

⁴ المتنبي، الديوان، ص343.

ولقد أراك كسيت أجمل منظر ومع الجمال سكينه ووقار.¹

5- المرأة / الجسد:

يمثل جسد المرأة آية من آيات الله في خلقه، بحيث خلق الله هذا الكائن وخصه بصفات ومزايا لا نجد لها إلا في هذا الجسد، الذي أبدع الله عز وجل فيه وتفنن في تصويره، فجعل له مفاتن ومحاسن تميزه من الجنس الآخر- الرجل - مما جعل هذا الأخير يميل وينجذب إليه بطبيعة الاختلاف الموجود بين الجنسين من حيث الأعضاء الجسدية فيزيولوجيا والنفسية سيكولوجيا.

ولهذا كان هذا الجسد مطلب ومحط أنظار الرجل، فالمرأة بجسدها تمثل حياة الرجل ومتعتهم فهي من دونه لا تساوي شيئا، باعتباره يحقق له الرغبة واللذة المنشودة، فهو يمثل موطنه الذي يسكن إليه لقوله تعالى: « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها »².

لهذا مثل جسد المرأة تمثالا تنافس الشعراء في نحتها، ولوحة في تلوينها ولؤلؤة في امتلاكها، فهي مصدر إلهامهم وإيلامهم، تحقق لهم المتعة والسعادة كما تلحق بهم الألم والعذاب.

وإن المرأة في شعر " أبي نواس " تتمثل في معان رقيقة عذبة تكتنفها الصراحة والوضوح عن مفاتن المرأة، والشاعر يصور الجسد ليرضي به نفسه ورغبته ويحقق من خلاله المتعة واللذة، ويكشف عن أبعاد ذلك الجسد ويصور محاسنه ونزوات ورغبات الشاعر، وما يختلج بين جوانحه من شهوات وآمال في وصال ذلك الجسد، ومن صور المرأة الجسد التي وردت في ديوان شاعرنا ما سنورده لاحقا.

و"أبونواس" باعتباره رجلا بالدرجة الأولى وشاعرا، لم يفوت عن نفسه فرصة التمتع بهذا الجسد، الذي ترجم تفاصيله في قصائد كثيرة، ذلك الجسد الذي تسعى المرأة للحفاظ عليه باعتباره كنزها الثمين الجميل الذي بالإضافة إلى جماله الطبيعي تزيينه وتزيده جمالا بالحياء والخجل والعفة والطهارة، وهذا ما نجده في قول "أبي نواس" في مقطوعة عنوانها « أسبلت الظلام على الضياء » :

نضت عنها القميص لصب ماء فورد وجهها فرط الحياء.

وقابلت النسيم وقد تعـرت بمعتدل أرق من الهـواء.

ومدت راحة كالماء منـها إلى ماء معد في إناء.

فلما أن قضت وطرا وهمت على عجل إلى أخذ الرداء.

رأت شخص الرقيب على التداني فأسبلت الظلام على الضياء.

فغاب الصبح منها تحت ليل وظل الماء يقطر فوق الماء.

فسبحان الإله، وقد براها كأحسن ما يكون من النساء.³

¹ جرير، الديوان، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، ص100.

² سورة الروم، الآية 21.

³ أبونواس، الديوان، ص28.

فقد صور لنا "أبونواس" في هذه القصيدة امرأة تغتسل، فقد خلعت ثيابها وشرعت في غسل ذلك الجسد ذوالقد المعتدل الممشوق القامة، ولما انتهت وأرادت ارتداء ثوبها أدركها شخص يراقبها فأسبلت شعرها على مفاتها حياء وخجلا وبذلك الشعر الأسود كالظلام الذي أفردته على جسدها الأبيض الناصع كالصبح.

وللمرأة مفاتن كثيرة ومحاسن عديدة، وشاعرنا لا يمنع نفسه من الحديث عن هذه المفاتن والجماليات، ففي قصيدته «سبتني بالجد والوجه والنحر» يبدي إعجابه وانجذابه إلى جارية برمكية، تخدم في قصر وهي غلامية في زيتها مزوقة بالحلي مقصوصة الشعر، ناهدة الثديين ذات حسن:

وناهدة الثديين من خدم القصر سبتني بحسن الجيد والوجه والنحر.
غلامية في زيها، برمكية مزوقة الأصداغ، مطمومة الشعر.¹

فهو في هذين البيتين يختزل جميع مفاتن جسد المرأة، ويصفها بأجمل الأوصاف وأدقها، فيجعل صورة المرأة صورة حية يحاول من خلالها أن يجعل المتلقي يعيش معه اللحظة، ويتمتع معه بهذا الجمال.

ونلاحظ أن الشاعر في هذين القصيدتين جمع كل جمال رآته عينه، واشتهاه قلبه .

5-1. العيون:

تفيض العيون بالمشاعر الرقيقة، والأحاسيس المرهفة، والعواطف الإنسانية السامية فالعيون جمال وسحر أخذ تحكي ما لا تحكيه كل اللغات، فقد تبارى الشعراء في وصف محاسن ومفاتن المرأة، ولم يخرج الشاعر "أبونواس" عن طبيعة وصف أدق التفاصيل التي ترسم وجه المرأة، وتزينه، من بينها العيون ويختلف الشعراء في وصفهم للعيون وذلك باختلاف ميولهم إليها وأي العيون يفضلونها، فـ "أبونواس" يوظف في بيت شعري له العين الحوراء التي اشتد بياض عيناها وسواد سوادها، واستدارت حدقتها ورقت جفونها وأبيض ما حوالها، وذلك في قوله:

وأشرب سلافا كعين الديك، صافية من كف ساقية كالريم، حوراء.²
وفي قصيدة أخرى يؤكد "أبونواس" على الجمال الذي اختصت به المرأة وتفرد به من جمال العيون الحور التي تشبه عيون الغزال والبقر الوحشي، فهذين الأخيرين يعرفان بجمال عيونها الكبيرة وشديدة السواد، وبياض البياض:

رب ريم كان فيهما يملأ العين جمالا.
ولقد تقتصصك الحو راء العين
الغزالا.³

¹ المصدر نفسه، ص236.

² أبونواس، الديوان، ص14.

³ المصدر نفسه، ص443.

وتحدث "المتنبي" أيضا عن العيون التي تشبه عيون البقرة الوحشية، فهو يشبه عيون حبيبته بعيون المها لحسنها وجمالها، والذي استعبده الحب وأضناه فيقول:

وعيون المـها ولا كـعيون xxx فتكت بالمتيم المعبود.¹
ويؤكد "أبونواس" إعجابه وحبه للمرأة الحوراء في قصيدة أخرى، فيقول:

تسعى بها الحوراء في طرفها xxx ضحك، وفي المضحك تقيئ.²

فقد هام الكثير من الشعراء بالعين الحوراء، فهي على التقدير أجمل العيون وعلى اختلاف الشعراء واختلاف عصورهم، إلا أنهم يتفقون دائما حول ما هو جميل فلا يوجد جمال يضاهي جمال العيون، فهي أيضا "جرير" يتكلم عن العيون ويؤدي إعجابه وميوله للعين الحوراء، فهو يشيد بالهور التي لم تلق حزنا ولا رمدا وهذا الأخير باعتباره مرض يصيب العينين، فهذه العيون الموصوفة صافية نقية من كل الشوائب فيقول:

وقد عهد نابها حورا منعمة xxx لم تلق أعينها حزنا ولا رمدا.³

ويؤكد "أبو الطيب المتنبي" على أن السحر والانجذاب إلى المرأة يكون في عيونها، حيث فيهما قدرة عجيبة على جذب الطرف الآخر، فمن يبصر عيون حبيبته ينقاد إليها دون ما أي حاجز، وينسى بالتأمل إليها كل شيء، فهما يمثلان عالما فسيحا يسبح فيه المحب دون جواز سفر، وأن "المتنبي" يعترف بأنه ليس يدخل العشق قلبه لكنه وبعيون تلك المرأة يتعشق فيقول:

لعينيك ما يلقي الفؤاد وما لقي xxx وللحب ما لم يبق مني وما بقي.
وما كنت ممن يدخل العشق قلبه xxx ولكن من يبصر جفونك يعشق.⁴

5-2- الفم / ومتعلقاته:

من الصور الحسية التي وردت عند الشاعر صورة الثغر والمبسم والوجه، فقد وصف الشعراء منذ العصر الجاهلي، الثغر والريق والمبسم والأسنان والشفة، كما اهتموا اهتماما كبيرا بالثغر فوصفوا الأسنان وشبهوها بالثلج والبرد، وأحبوا الشفة فشبهوها بالجمر لشدة الحمرة، كما شدهم ريق المحبوبة واهتموا به وشبهوه بالخمير والعسل، ومن أمثلة ذلك عند شاعرنا وصفه لثغر حبيبته وصغره وضيقه بحيث شبهه بقصعة المساكين الفقراء اللذين لا يملكون سوى تلك القصعة الصغيرة يتناولون فيها ما استطاعوا فيقول:

والفم من ضيقه إذا ابتسمت xxx كأنه قصعة المساكين.⁵

كما تحدث "الفرزدق" عن ثغر المرأة، وكأنه خصم حاصره العدو، وكأنه من الخوف عليه ثار لا تنام من أجله جماعة من الجند حتى يأخذون بأثرهم منه، وهذا دليل على جماله وحسنه فيقول:

وثغر تحلماه العدو كأنه xxx من الخوف ثار لا تنام مقانبه.⁶

¹ المتنبي، الديوان، ص 15.

² المصدر نفسه، ص 525.

³ جرير، الديوان، ص 125.

⁴ المصدر السابق، ص 220.

⁵ أبونواس، الديوان، ص 562.

⁶ الفرزدق، الديوان، ص 34.

ولم يخرج " الفرزدق " عن طبيعة وصف أدق التفاصيل التي ترسم وجه المرأة باعتبار العيون والفم من أبرز مواطن الجمال في وجهها، فالسحر كله في عيون المرأة خاصة تلك العينين الحُرَتين الكريمَتين، فالعيون تفتت الأكبَاد سواء كانت عربية أو أعجمية، وذلك الثغر الواضح النقي الطاهر الذي يملأه ريق كثير عذب لذيق ويتوسط العين والثغر أذلف أي أنف صغير مستوي الأرنبية، يدل على الجمال والحسن وهذا ما يؤكد " الفرزدق " في قوله:

وبـواضح رتل تشف غروبهُ
المتشم.

وَكَمَا أَنَّ فَأْرَةَ تَاجِرٍ هُنْدِيَّةٌ سَبَقَتْ إِلَى حَدِيثِ
فِيكَ مِنَ الْفَمِ.

ما فـ_____رثت كبدي من امرأة لها عينا من عرب ولا من أعجم.

مثل التي عرضت لنفسي حثفها منها بنظرة حرتي ————— ن ومعصم¹

وَصُورُ الشَّاعِرِ "أَبُو نَوَاسٍ" شَفَةَ الْمَرْأَةَ بِأَنَّهَا تَنْثُرُ الدَّرَّةَ عِنْدَ غَنَائِهَا فَيَقُولُ:

تتشر الدر، إذا غن
علينا، شفتاها²

كما صور الشاعر أسنان حبيبته والتي بها فلج وهو التباعد ما بين الأسنان وأمر مستحسن عند المرأة، حيث بالغ الشعراء في مدحه، فهذا الفلج يزيد من جمال الأسنان ويجعلها سمة تميز فئة من النساء فيقول:

وَفِي أَنْبِيَاءِهَا فَلَجَ
فَأَطْرَقَ رُوحُهَا وَمَا عَلِمُوا³

فالشعراء على اختلاف عصورهم، كانوا لجمال المرأة بالمرصاد، فهي ملهمتهم تجعلهم بجمالها وحسنها يطلقون العنان لأنفسهم فيجودون بأجمل الأشعار والقصائد.

5-3. الوجه والخد والعنق والشعر:

يعد وجه المرأة هو الجزء الأول والأخير لجمالها، فالمرأة الجميلة هي التي كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا، فالوجه هو مكن الجمال، فهو بداية جمال المرأة ونهايتها، يبدأ منه الرجل وينتهي إليهن فالحسن والجمال صفات تجتمع في وجه المرأة، فها هو "أبونواس" يجعل للوجه عنوانا لقصيدة له فيقول في أبياتها:

إن اسم حسن لوجـها صفـة
غيرها اجتماعاً

فهي إذا سميت، فـ د وصف ت معنيين معاً⁴
فـ د وصف ت معنيين معاً⁴

¹ الفرزدق، الديوان، ص392.

² أبو نو اس، الديوان، ص 577

³ المصدر نفسه، ص 480.

⁴ أبونواس، الديوان، ص347.

كما تغزل الشاعر بوجه الجارية « حسن »، فوجهها حسن وجميل، وكذلك اسمها "حسن" فهنا تنطبق المقولة الشائعة اسم على مسمى، ونجد هذا في قصيدته « اسمي على اسم وجهك »:

إن بي حرمة، فلو رعيت لـ _____
ولا أقول قرابـه.

غير أني سمي وجهك لـم أخـ _____
والكتابة.

فإذا ما دعيت غير مـكـنـي _____
في الإجابة.

اكتبي وانظري إلى شبه الأحـ _____
الحسابـة.

تجدي اسمي على اسم وجهك ما غا _____
وصور الشاعر وجه حبيبته بالهلال، وأن الحسن كله في وجهها وأن له فيها كل يوم هلال على خلاف الناس فيقول:

للناس في الشهر هلال، ولـ _____
هلال.²

وأفرد كذلك الشاعر قصيدة عنوانها « يا ربة الوجه الجميل » بالحديث عن وجه حبيبته فيقول:

يا ربـة الـوجـه الـجـمـيـل _____
في الخد الأسيل.

جـ _____ ودي، ولـ _____
تسـخـوبـه نـفس البـخيـل.³

كما صور الشاعر وجه حبيبته « جنان » بصورة البستان الذي يجتمع فيه كل أنواع الورد والزهور، ولهذا فإنه جمع بين كل الألوان في لون واحد وهو وجه « جنان » فيقول:

وجـه جـنـان سـراة بـسـتـان _____
فـيـه كل ألـوان.⁴

وفي حديثه عن جارية أخرى اسمها « بنان » يصف وجهها وكأنه القمر الذي بنوره في ليلة الثلاثين في قوله:

وجـه بـنـان كـأنـه قـمـر _____
يـلـوح في لـيـلة الـثـلاثـين.⁵

¹ المصدر، نفسه، ص 54.

² المصدر نفسه، ص 429.

³ المصدر نفسه، ص 441.

⁴ المصدر نفسه، ص 528.

⁵ أبو نواس، الديوان، ص 562.

ويواصل أبو النواس تغزله بوجه المرأة وتصويره بصور مختلفة، فهو يصف وجه المرأة بالبرق الذي يشع منه النور نظارة وإشراقاً كضوء القمر في جنح الظلام، وهذا دليل على بياض وجه هذه المرأة قائلاً:

وشاطرة تتــيه بحسن وجــه كضوء البرق
في جنح الظلام.¹

ولبياض الوجه ونظارته نجد "المتنبي" يوافق "النواسي" في هذا بأن بياض الوجه من مقاييس الجمال، فهو يشبه بياض وجه حبيبته بالشمس الساطعة البالغة النور، وكالخرز الأبيض الذي يشبه اللؤلؤ فيقول:

وبياض وجه يريك الشمس حالكة كـــ ودر لفظ يريك الدر مخشلباً.²
وهذا الاتفاق في المعاني والتشبيهات بين الشعراء إنما يدل على وجود نفس المادة الخام التي يصنع منها الشعراء أشعارهم، وأن لهم مصدراً ملهماً واحداً، استقوا منه مادتهم الشعرية وهو المرأة.

ويكمل الشاعر مقاييس الجمال الحسية في وجه المرأة، حيث يأتي فيه خدين لهما جمال خاص، يزيد من جمالهما جمال الوجه، وللخدود أنواع وكل حسب شكل الوجه ففي الأبيات التالية يصف الشاعر الدمعة وهي تنزل من العينين كاللؤلؤة على خد ناعم طويل وهذه الصفة تزيد الوجه جمالاً باعتبار الخد جزء من أجزاء الوجه، فإن جمال الجزء يزيد من جمال الكل، حيث يقول الشاعر:

دمعة كالـــ لؤلؤ الخـــ رطـــ ب على الخد
الأسيل.³

ويصور الشاعر الخد الطويل في بيت آخر قائلاً:

ياربة الوجـــه الجميل كـــ والخـــال في الخد الأسيل.⁴
فالخد الأسيل هو الخد الطويل، وقد ربط الشاعر جمال الخد بجمال الوجه، ففي صدر البيت استهل كلامه بالوجه الجميل، ثم في العجز تحدث عن الخد الطويل، فالخدود الجميلة من متممات جمال الوجه ومكملاته.

كذلك تكلم عن خد حبيبته «جنان» المورد، وأنه وبالإضافة إلى خدها الذي هو عنوان القصيدة «ذات الخد المورد» يواصل ذكر محاسنها التي لا تنتهي فيقول:

وذات خـــد مـــورد كـــ فتـــانة
المتجرد.

تأمل الناس فيــها كـــ محاسنــها ليس تتفد.
الحسن في كل جزـــــــــــــــــــــــــــــــــ كـــ منها معـــــــــــــــــــــــــــــــــاد مررد.
فبعضه في انتهـــــــــــــــــــــــــــــــــاء كـــ وبعضـــــــــــــــــــــــــــــــــه يتولد.

¹المصدر نفسه، ص485.

²المتنبي، الديوان، 66.

³المصدر السابق، ص430.

⁴أبونواس، الديوان، ص441.

وكلما عدت فيهِ □□□ يكون بالعود أحمـد¹
فقد أصبح الجسد الأنثوي هنا مالكا للغة الإغوائية، واللغة الشعرية، واللغة العادية، فهو
إضافة إلى جماله وأنوثته له جمال لا ينتهين والجمال هو الذي لا يمل النظر إليه ولا يكره
منه ولا يشبع من التمتع به، فهذه تسمى إذن سلطة الجسد ومدى تأثيره على الجنس الآخر.
وكان لجيد المرأة نصيبا من وصف وحديث الشاعر، فقد شبه الشاعر عنق « بنان »
بعنق التين أو الحية العظيمة ، وهذا دلالة على طول عنقها، فطول العنق يرمز إلى الجمال
والحسن وهو شيء مستحب في المرأة، وواحد من مقاييس جمالها فيقول:
والجيد زين لمن تأمله □□□ أشبه شيء بجيد
تئين².

ويوافق "المتنبي" "أبا نواس" فيما ذهب إليه، فيما يخص عنق المرأة بأنها تشبه عنق
الغزال في الطول، ويوافقه في أن طول الجيد من جماليات المرأة، وأن هذه العنق الطويلة
جميلة دون أن تضع لها حليا أو طوقا إذ يقول:

وأجياذ غزلان كجيدك زرنني □□□ فلم أتئين عاطلا من مطوق³
أما الشعر فيعد هو الآخر واحدا من مقاييس الجمال للمرأة عند العرب، فسواده
وكثافته يظهر جمال الوجه وصفاته، وبياض الجسد ونظارتها، فالشعر نصف جمال المرأة
والشاعر "أبونواس" يجعل من الشعر هو الآخر جزءا من جمال المرأة، فهو يبرز مظاهر
الجمال الأخرى فيها خاصة عندما يكون كثيفا وأسودا يحكي لونه الظلام وهو يشبه شعر
محبوبته بسواد الليل لشدة سواده، كما أنه مسبول على ظهرها فيقول:
ووارد جثـل على متنها □□□ أسود، يحكي
لونه الكـرم؟⁴

ويصف سواد الشعر ويشبهه بسواد الليل والظلام، والذي أبرز بياض الجسد الناصع كما
يشير إلى طوله فيقول:

رأت شخص الرقيب على التداني □□□ فأسبلت الظلام على الضياء⁵
فقد راق الشاعر في هذه الأنثى بياضها الناصع، وشعرها الأسود الداكن كالظلام
فقوله «أسبلت الظلام على الضياء» كناية عن سواد شعرها الشديد الذي أفردته على
جسدها الناصع البياض.

ويصور كثافة وقوة شعر المرأة بصورة أغصان النخيل، فهو يصف كثافته ويشبهها
بالعراجين، فهذه المرأة تجعل من شعرها صفائر تشبه الشماريح والعراجين في أشجار
النخيل، حيث تدل صفائر الشعر على الكثافة والطول إذ يقول:

وحسبك الحسن في صفائرها □□□ مثل شماريح في العراجين⁶

¹المصدر نفسه ، ص163.

² المصدر نفسه، ص562.

³ المتنبي، الديوان، ص221.

⁴ أبونواس، الديوان، ص473.

⁵ المصدر نفسه، ص28.

⁶ المصدر نفسه، ص562.

الفصل الثاني نواس

صورة المرأة في شعر أبي

بكمال صورتك التي في مثلها يتحير التشبيه
والتمثيل.

فوق القصيرة، والطويلة فوقها دون السمين، ودونها
المهزول.¹

فهي ذات قد ممشوق، وقوام معتدل، ليست بالسمينه ولا النحيلة وليست بالطويلة ولا
القصيرة، فهي بهذه الصفات أجمل امرأة.
وقوله:

إذا هي قامت والسداسي طالها وبين النحيف الجسم، والحسن الجسم.²
وفي قصيدة « وجه بنان كالقمر » يصف " أبونواس " « بنانا » بأجمل الأوصاف، إذ
جمع في هذه القصيدة جميع مفاتن « بنان » ووصفها وأبدع في وصفها قائلاً:

وجـــــــه بنان كأنه قمر يلـــــــوح
في ليلـــــــة الثلاثين.

والخـــــــد من حسنه وبهجته كطاقة الشوك في
الريـــــــاحين.

مبادر من جبينــــها نسـم في الطيب يحكي مــــباول
العين.

والفم من ضيقه إذا ابتسمت كأنــــه قصــــة
المساكين.

لها ثنــــايا تحكي ببهجتهــــا وحسنهــــا
ألســــن الموازين.

وحسبك الحسن في صفائرها مثل الشمــــاريــــخ في
العراجين.

والجيد زين لمن تأمله أشبــــه شــــيء
بجيد تتين.

ومنكباها في حسن خلقهما في مثل رمانتين من
طــــين.

والبطن طاو تحكي لطافته ما ضمنوه كتب
الدواوين.

والساق براقــــة خــــلاخلها كأنها
محــــرك الأتاتين.³

فقد وصف وتحدث عن « الجبين »، و« ضمور البطن »، وبأنه من شدة ضموره
وخوائه كأنه مطوي تحكي لطافته وجماله كتب الدواوين، إذ يزيد ضمور البطن جمالا
للمرأة، فهو يدل على رشاققتها واستواء أعضائها.

¹ أبونواس، الديوان ، ص428.

² المصدر نفسه ، ص461.

³ المصدر نفسه، ص562.

كما تكلم عن حديثها الموزون « تحكي ببهجتها وحسنها ألسن الموازين » فحديثها حسن كحسنها، وللحديث الحلو الكلمات العذبة التي تنتثر من الثغر العذب، ولسحر الألفاظ ورقفتها ولينها لوقع جميل يأسر القلب، ويؤثر في النفس، ويحرك المشاعر ولهذا تكلم الشعراء عن هذا الجانب الذي يخص حديث المرأة، باعتباره مقياس لجمالها، فها هو " ابن الرومي " يصف حديث المرأة بأنه ألد من السحر الحلال، وأطيب من الماء الزلال وأحلى من الشهد المصفى فيقول:

وحديثها السحر الحلال لو أنسها _____
إن طال لم يملل وإن هي أو جزت _____
ود المحدث أنها لم توجـز¹.
كما يشارك " عروة بن الورد " الشعراء في خوض مضمار الوصف والتغزل بحديث المرأة قائلاً:

وقالوا ما تشاء ؟ فقلــــت ألهو _____
الـى الاصبح أثر ذي
أثير.

بأنسة الحديث، رضــــاب فيها _____
يعيد النــــوم، كالعنب
العصير.²

فقد اتفق الشعراء بالإجماع على أن حديث المرأة جمال يزيد جمالها وحسنها، فهي بحديثها تنثر الدر واللؤلؤ، ويستمتع المستمتع لحديثها ومأنستها وغنائها، حيث نجد "أبونواس" يقول:

تنثــــر _____ الدر، إذا غنــــى _____
عليــــنا شفــــة _____³ تاهاً.

كما لم يجعل "النواسي" الخمرة بمعزل عن المرأة، بل جعلها سيان، فقد ربط المرأة/ الجسد بالخمرة قائلاً:

كأساً إذا انحدرت في حلق شاربها _____
أجدته حمرتها في العين والخذ.
فالخمر ياقوته، والكأس لؤلؤة _____
من كف جارية ممشوقة
القد.

تسقيك من عنبها خمرا، ومن يدها _____
خمرأ، فمالك من سكرين من بد.⁴
"فأبونواس" يؤكد أن الخمرة تسكر، وهي أداة للمتعة والنشوة، كذلك جسد المرأة يسكر وهو أداة للمتعة والنشوة، فالخمر والجسد - المرأة - كلاهما يمتع ويسكر ويؤنس وهو أيضا يرسم صورة هذه المرأة التي تملك مواصفات جميلة تفعل به ما تفعله الخمرة بالعقول والسحر بالقلوب.

فقد تعامل " أبونواس " مع الخمرة كتعويض جنسي عن النساء، وكتعويض عاطفي عن أمه التي حرم منها، فالخمرة كانت البديل للأنثى.
هذه إذن بعض الأمثلة الجسدية التي صور فيها الشاعر جسد المرأة، فقد استطاع "أبونواس" أن يصور المرأة بعدة صور، وكأنه حامل لآلة تصوير التقط بها تلك الصور،

¹ ابن الرومي، الديوان، شرح أحمد حسن بسبح، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م، ج2، ص183.

² عروة بن الورد، الديوان، ص63.

³ أبونواس الديوان، ص577.

⁴ أبونواس، الديوان، ص149.

كما استطاع أن يتعامل مع المرأة روحا وجسدا، وأن يجعل المرأة رمزا دالا لكثير من الدلالات فالمرأة ليست تكوينا بيولوجيا أو أنثويا مفعما بالمحاسن واللذات وبالحب المثالي والرغبة الجامحة فحسب، بل تتجاوز ذلك لتشكّل صورة جديدة، فالمرأة هي الحُسن الذي يرتمي فيه الابن والزوج والحبيب الذي يتشوقه، ويحن إليه كل من تذوق الحنان وأحس بالأمان، فهي مخففة الآلام والأحزان والأشجان.

وبهذا فقد احتلت المرأة جانبا مهما في الموروث الثقافي العربي، إلا أننا حين نقرب منها فإننا نقرب جسديا، إذ تم التركيز على الجسد باعتباره أداة للمتعة واللذة، دون إغفال بعض الجوانب التكميلية كالحياء والخجل... ولا تتحقق أيضا المتعة إلا إذا كان هذا الجسد أو هذه المرأة هي المرأة الحبيبة.

ونخلص بعد كل هذا الحديث إلى بعض السمات الأسلوبية في شعر "أبي نواس" عموما وفي شعره المتعلق بالمرأة خصوصا:

● لقد تبين من خلال المسافات العامة لهذه الدراسة مدى شاعرية النص "النواسي" من خلال غناه بجملة من المكونات الشعرية.

● عاش الشاعر في العصر العباسي، وفي هذا الأخير جملة من مئات الشعراء لكن الزمن لم يخلد منهم إلا القليل، ومن هؤلاء القلة الذين خلدهم التاريخ "أبونواس" وما ساعده على هذا التخليد طاقته الشعرية، هذه الطاقة التي تتولد عن جملة من المكونات بدءا بحرارة التجربة وأصالة الإحساس، ثم القدرة على التصوير وتجسيد تلك التجارب والأحاسيس في صور فنية موحية ومؤثرة ومعبرة.

● استطاع النص الشعري عند "أبي نواس" أن يحقق حضوره على مستوى الشعر العربي القديم، وأن يرفع اسم صاحبه بين طبقات الشعراء، ولاسيما من خلال خمرياته وغزله.

● أغلب القصائد في الديوان تميزت بالتكثيف والاقتصاد في البناء الكلي لها وقصر مجموع أبياتها.

● كانت القصائد التي تحدث فيها "أبونواس" عن المرأة، تقوم على الوصف؛ أي أنه كثير الوصف لمفاتيح المرأة.

● اتكأ الأسلوب الشعري عند "أبي نواس" على:

✓ الأساليب الطلبية لاسيما في الأمر والنداء، وخاصة فيما يخص المرأة فقد كان كثير الطلب إليها بالعفو والجود عليه بالرضا والوصال.

✓ أسلوب الحكيم والوصف والسرد، فقد كان دائم الحكيم عن حبيبته، وعن تلك المرأة التي دائما يقع في حبها لكن من طرف واحد.

✓ يكشف النص "النواسي" وأسلوبه عن إدارة في التغيير، وثورة على الواقع والعادات والأخلاق والمجتمع، فقد كان يصرح بمجونه وحبّه للنساء.

✓ زخرت قصائده ونصوصه الشعرية بأسماء النساء والحبيبات.

✓ جعله للمرأة والخمرة في مقام واحد، وأنهما يحققان المتعة واللذة معا.

● تنوع الغزل في النص الشعري "النواسي" للمرأة بين الغزل العذري والغزل الماجن.

خالد

كانت دراستي حول المرأة في العصر العباسي وكان أبونواس نموذجاً للدراسة فكانت هذه الدراسة نظرية تطبيقية، نظرية من حيث جمع المعلومات وضبط التعاريف والتوسع في المفاهيم، وتطبيقية من حيث تناول الجانب التحليلي.

وتوصلت إلى أن البيئة تلعب دوراً كبيراً في تكوين الإنسان، وأن هناك جملة من العوامل المؤثرة في شاعرنا أبي نواس وتشكيله الشعري، فقد عاش "النواسي" في بيئة منحلة الأخلاق فاسدة الطباع، ماجنة غلب عليها العبث، انساق إليها عن طريق أستاذ والبيئة، كما كانت أمه من أهم الأسباب التي أدت به إلى الانغماس في الرذيلة، كيف لا والرذيلة كانت على مرأى عينيه.

وبهذين السببين وغيرهما جعل "النواسي" لنفسه قصراً عاش فيه ملكاً وسلطاناً هذا القصر هو قصر اللهو والمجون، وكان السلطان عقله الذي لا يفوق من سكرة الخمر وسكرة المرأة.

كما استنتجت أن الغزل من أكثر الأغراض الشعرية في وصف المرأة والحديث عنها وهو من أشدها التصاقاً بالشعراء على مر العصور، وهو الأنسب لوصف المرأة وتعبير به عما يختلج النفس.

ويتبين لي من خلال بحثي في العصر العباسي وإعطاء لمحة عن صورة المرأة فيه أنه حدث تغيير واسع في تفكير الشاعر العباسي وعقله، هذا التغيير خلقت به البيئة وأثار الحضارة والحياة في العصر العباسي.

فبعد دراستي وتصفحي لديوان أبي نواس، وجدت فيه أنه يميل إلى الغزل بالمذكر أكثر منه بالمؤنث، وهذا راجع إلى مركب النقص لديه وعقدة الدونية التي تجعله يميل إلى بني جنسه ويبرر شذوذه الجنسي، كما أن المرأة تلعب دوراً أيضاً في تكوين هذه العقدة لديه، وهي أو لا المرأة أمه التي فقد من ورائها الثقة في الجنس الأنثوي، والثانية المرأة جنان التي أحبها بكل جوارحه وهي لم تبادله ذلك بل كانت تتفنن في صده ورفضه.

ويتضح من خلال دراسة المرأة في الشعر العربي، أن المرأة لا تتغير وأن الجمال لا يتغير، وإنما المتغير هو النظرة إليهما.

وظهرت معالم صورة المرأة في شعر أبي نواس بنسب متفاوتة كان أكثرها المرأة الحبيبة وأقلها الأم وانعدامها الزوجة والبنات، ولعل ذلك يعود إلى سيطرة الروح الغزلية على الشاعر.

ويتبين أن صورة المرأة في شعر شاعرنا جاءت في صور مألوفة تقليدية. كما يتضح أن أبا نواس كان من المتأثرين بالطبيعة، بحيث استقى كثيراً من الصور والتشبيهات من الطبيعة وبالتحديد توظيفه لأوصاف الحيوانات.

ووجدت أن الشاعر كان محافظاً على عريبته، وإن كان قد استعمل بعض الألفاظ الفارسية دون تعريب، أو معربة مصقولة.

وكان تصوير الشاعر للمرأة الحبيبة تصويراً مادياً أكثر منه تصويراً روحياً ولعل طبيعة الحياة العباسية التي عاشها الشاعر دفعت به إلى التعبير عن المرأة بهذا النوع من التعبير والتصوير.

ويتضح من خلال ديوان أبي نواس أن التجديد الشعري في العصر العباسي لم يعد في الأغلب صناعة الشعر فحسب، بل أنه منحصر في الوجداني منه.

ويظهر هذا في تصويره للمرأة، فهذا التصوير نابع من وجدان الشاعر مترجم به عن مكبوتاته ومخالج نفسه. وأخيرا أمل أن يكون بحثي هذا موفقا وأن يكون ثمرة للطلاب من بعدي ليستفيدوا منه.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

أ- المصادر والمراجع:

1. الفرزدق، الديوان، شرحه وضبطه وقدم له علي فاعور، ط1، دار المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، 1987.
2. إبراهيم خليل العلاف، المجموعة الشعرية الكاملة، ط3، مطابع الصفا، 1989.
3. ابن الرومي، الديوان، شرح احمد حسن بسج، ط3، منشورات محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002 م، ج1، ج2، ج3.
4. ابن رشيق القيرواني أبو علي الحسن الأزدي، العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده تحقيق محمد محي الدين، دار الجبل، لبنان .
5. ابن منظور المصري، أبو نواس، دار الجبل، بيروت، لبنان، 1990 .
6. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله و علي الكبير و آخرون، دار المعارف، ج1 .
7. ابن منظور، لسان العرب، ضبط نصه و علق حواشيه خالد رشيد القاضي، ط1، دار صبح، بيروت، لبنان، 2006، ج13 .
8. ابن منظور، لسان العرب، ضبط نصه و علق حواه خالد رشيد القاضي، ط1، دار صبح بيروت، لبنان، 2006، ج7 .
9. ابن منظور، لسان العرب، ضبطه خالد رشيد القاضي، ط1، دار صبح، بيروت، لبنان 2006، ج10 .
10. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق و ضبط عبد السلام محمد هارون مكتبة المشكاة الإسلامية، ج3، دت.
11. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار الثقافة، بيروت، ج16 .
12. أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطاء، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ج1 .
13. أبو عثمان بحر بن محبوب الجاحظ، الحيوان، تحقيق يحيي الشامي، دار مكتبة الهلال، ج2 .
14. أبو نواس، الديوان، شرحه وضبطه و قدم له علي فاعور، ط3، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 2002 م .
15. أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق و إشراف لجنة من الأدباء، دار الثقافة بيروت ج13 .
16. أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق و إشراف لجنة من الأدباء، دار الثقافة بيروت ج14 .
17. إحسان عباس، شعر الخوارج، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1974 .
18. إحسان عباس، فن الشعر، دار بيرون، لبنان .
19. أحلام الزعيم، أبو نواس بين العبث و الاغتراب و التمرد، ط1، دار العودة، بيروت.
20. أحمد سيد، المذاهب الأدبية في الأدب العربي، ط1، دار شمس المعرفة، القاهرة .
21. اسكندر أصاف، ديوان أبي نواس، ط1، المطبعة العمومية، مصر، 1998 .
22. أنيس المقدسي، أمراء الشعر في العصر العباسي، ط7، دار العلم للملايين بيروت، 1967 .

23. ايليا الحاوي، فن شعر الخمري و تطوره عند العرب، ط1، دار الثقافة، بيروت لبنان1997.
24. بطرس البستاني، أدباء العرب في الأعصر العباسية، ج 2 .
25. جرير، الديوان، ط 1، دار صادر، بيروت، لبنان .
26. جورج غريب، الموسوعة في الأدب العربي، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1966 ، ج5.
27. حسين عبد الجليل يوسف، عالم المرأة في الشعر الجاهلي، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، مصر، 2007 .
28. حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، ط1، دار الجيل بيروت، لبنان، 1986 .
29. خليل شرف الدين ، الموسوعة الأدبية، مكتبة الهلال، 1987، ج 1 .
30. سراج الدين محمد، موسوعة المبدعون، الغزل في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية ، بيروت، لبنان .
31. شوقي ضيف، الفن و مذهب في الشعر العربي، ط1، دار المعارف، مصر، 1960.
32. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ج 3 .
33. صبحي حموي، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط2، دار المشرق، بيروت، 2001.
34. طاهر حداد، امرأتنا في الشريعة و المجتمع، موفم للنشر، الرغاية، الجزائر، 1992.
35. عادل جابر صالح محمد، تاريخ الأدب العربي القديم، ط1، دار صفاء، الأردن 2009 .
36. عباس محمود العقاد، أبو نواس الحسن بن هانئ، منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت .
37. عبد الفتاح نافع، الشعر العباسي، قضايا و ظواهر، كلية الآداب، جامعة البرموك ط1 ، دار جرير للنشر و التوزيع، 2008 .
38. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قراءة و تعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.
39. عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر العباسي، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، مصر، 2004 م .
40. عرفان محمد حمور، المرأة و الجمال والحب في لغة العرب، ط1، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان، 1998 .
41. علي إبراهيم أبو زيد، صورة المرأة في الشعر العباسي، ط1 ، دار المعارف، القاهرة 1983 .
42. علي شلق، أبو نواس بين التخطي و الالتزام، من دائرة المعارف الإسلامية .
43. علي نجيب عطوي، بشار بن برد حياته و شعره، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1990 .
44. فاطمة تجور، المرأة في الشعر الأموي، دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب 1999.
45. فواز الشعار، الشعراء العرب، اشرف أميل يعقوب الجبل، بيروت، ج 1 .
46. قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، ط 3 ، مطبعة الخانجي القاهرة.
47. كامل الشناوي، اعترافات أبي نواس، ط 2، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة.

48. لييب الطاهر، سوسولوجيا الغزل العربي، الشعر العذري نموذجاً، ترجمة حافظ الجمالي، منشورات الثقافة و الإرشاد القومي، دمشق، سوريا .
49. المتنبي، الديوان، ط2، دار صادر، بيروت، لبنان، 2008 .
50. مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، نشر مجمع اللغة العربية، ط1 ، 1980 م.
51. مجنون ليلى، الديوان، جمع و تحقيق و شرح عبد الستار أحمد فراج، دار مصر .
52. محمد ابن إسحاق النديم، الفهرست، أخبار العلماء المصنفين من القدماء و المحدثين و أسماء كتبهم منقول من دستوره و بخطه، المقالة الرابعة في الشعراء، ج 4 .
53. محمد توفيق النيفر، تاريخ الأدب العربي بالفضاء الشرقي من الجاهلية إلى النهضة، ج 1 .
54. محمد حملاوي، الشعر القبائلي التقليدي دراسة و صفة تحليلية، 2009 .
55. محمد رزق حامد، الأدب العربي و تاريخه في العصر الجاهلي، ط1، دار العلم والإيمان، مصر، 2010 .
56. محمد زكي العشماوي، موقف الشعر من الفن و الحياة في العصر العباسي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت .
57. محمد صبحي أبو حسن، صورة المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، ط2 ، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2005 .
58. محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، هلال نهضة، القاهرة، مصر .
59. المصباح المنير، دار المعارف، القاهرة، ج 1 .
60. مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه و القانون، ط2، دار السلام، 2003 .
61. منير البعلبكي، معجم أعلام المورد موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب و الأجانب القدامى و المحدثين، مستقاة من موسوعة المورد، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ، 1992 .
62. نور الدين السد، الشعرية العربية، دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ج 2 .
63. نوري حمودي القيسي، شعراء أميون، جامعة بغداد، 1976 .
- ب - الرسائل:**
- * علي بن أحمد بن محمد الزهراني، صورة المرأة في شعر يحي توفيق، رسالة ماجستير في الأدب قسم اللغة الغربية و آدابها، جامعة مؤتة، 2008 .
- ج - المجلات:**
- * خالد الحلبوني، « أدب المرأة في العصر العباسي و ملامحه الفنية »، مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، العدد 3 و 4، 2010 .
- * سعيد محمد الفيومي، « سلطة التحول في القصيدة عند الشاعر أبي نواس »، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، العدد الثاني، المجلد العشرون، جامعة القدس المفتوحة غزة، يونيو 2012 .
- * عبد الباسط محسن، « مكانة المرأة في التشريع الإسلامي »، مجلة المرأة عالم الفكر، المجلد 7، العدد 1، إبريل 1976 .

المنظر

المرأة هي عالم الأنوثة الفياض، ومهما حاول الكثيرون أن يخلعوها عن عالمها فإن المرأة هي ذلك الكائن البشري الذي خصه الله بميزات ميزه عن الجنس الآخر، وإن الجسد الأنثوي بخصائصه الطبيعية وبما خصته به المرأة نفسها من رعاية واهتمام يبرز هذا الجسد عنصرا أساسيا لعالم المرأة، فالأنوثة والجمال هما العنصران الأساسيان لهذا العالم وتبقى المرأة تفرض وجودها دائما بجمالها ومفاتها وقد جذبت هذه المرأة إليها اهتمام الأدباء والشعراء في مختلف العصور، وعلى مر الأزمنة، وهوما حاولت الوصول إليه في بحثي هذا الموسوم « صورة المرأة في العصر العباسي » أبونواس نموذجاً وقد اخترت هذا الأخير الشاعر الذي تربي ماجنا هائما بالمرأة طوال حياته وكيف استطاع أن يجعل من نفسه شاعرا متغزلا بارعا.

ولقد ارتأيت أن أقسم بحثي هذا إلى فصلين، الفصل الأول تحدثت فيه عن حياة أبي نواس وأدبه، وفصل تطبيقي قمت فيه بدراسة تطبيقية على ديوان "أبي نواس" موضحة فيه صورة المرأة لدى هذا الشاعر.

أما فائدة هذا البحث تكمن في كشف ما يتميز به الشاعر الماجن المريض في أعماقه من رهف الحس على الرغم من عقدة النقص لديه وفساد أخلاقه . وفي الأخير أتقدم بالشكر إلى الأستاذ المشرف الذي أعانني على إنجاز هذا البحث وأمل أن أكون قد وفقت فيه وقدمت ما يفيد.

Résumé

La femme est le monde de la féminité , et peu importe combien de personnes ont essayé de l'enlever de son monde , la femme reste l'être humain que dieu a caractérisée par rapport à l'autre sexe.

Le corps de la femme avec ses spécificités naturelles et aussi le soin de son corps sont les deux éléments essentiels dans le monde de la femme.

La femme impose son existence par le biais de sa beauté et son charme ce qui a laissé les écrivains et les poètes s'intéressaient à elle au fil du temps et c'est ce que j'ai essayé de le montrer dans cet humble travail qui porte sur « l'image de la femme dans le abbasside. Abou Nawasse comme exemple et j'ai choisi ce dernier qui à grandi talonneur, nomade de la femme durant toute sa vie et comment il a pu se faire un poète spirituel.

Ma recherche se devise en Deux chapitres : un qui porte sur est la vie de Abi Nawasse et sa littérature, alors que dans le Deuxième chapitre, j'ai effectué une étude pratique sur le divan de Abou Nawasse qui explique l'image de la femme chez ce poète.

Quand à l'importance de cette recherche, elle demeure dans la découverte des caractéristiques de ce poète libertin, malade dans ses profondeurs malgré son sentiment d'infériorité et la corruption de ses mœurs .

A la fin, je tiens à remercier mon encadrant qui m'a beaucoup aidé à effectuer cette recherche et j'espère que je l'ai réussi.

الفهرس

أ	مقدمة
06	مدخل
26	الفصل الأول: حياة أبو نواس وأدبه
26	1. مولده ونشأته
28	2. صفاته وأخلاقه
30	3. صلته بوالبة بن الحباب الأسدي
33	4. أساتذته ومحطات اكتسابه للمعارف
35	5. ثقافته
36	6 - منادمته للأميين
39	7 - أبو نواس الإباحي
41	8 - أبونواس والنجسية
45	9 - أبو نواس والشيطان
47	10 - أبو نواس والخمر
54	11 - ملامح من شخصيته
56	12. توبة أبي نواس ووفاته
58	13. آثاره
60	الفصل الثاني: صورة المرأة في شعر أبي نواس
97	خاتمة
100	قائمة المصادر والمراجع
106	ملخص
	فهرس